جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص: أدب عربي قديم

رقم: ق36/ 2023م

إعداد الطالبة:

نوي بلقيس

ديوان خداش بن زهير العامري

(دراسة أسلوبية فنية)

يوم: 19/06/2023

لجنة المناقشة:

بن دحمان عبد الرزاق	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
سليم كرام	أستاذ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
حسان زرمان	أ. محاضر ب	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعي2022 -2023

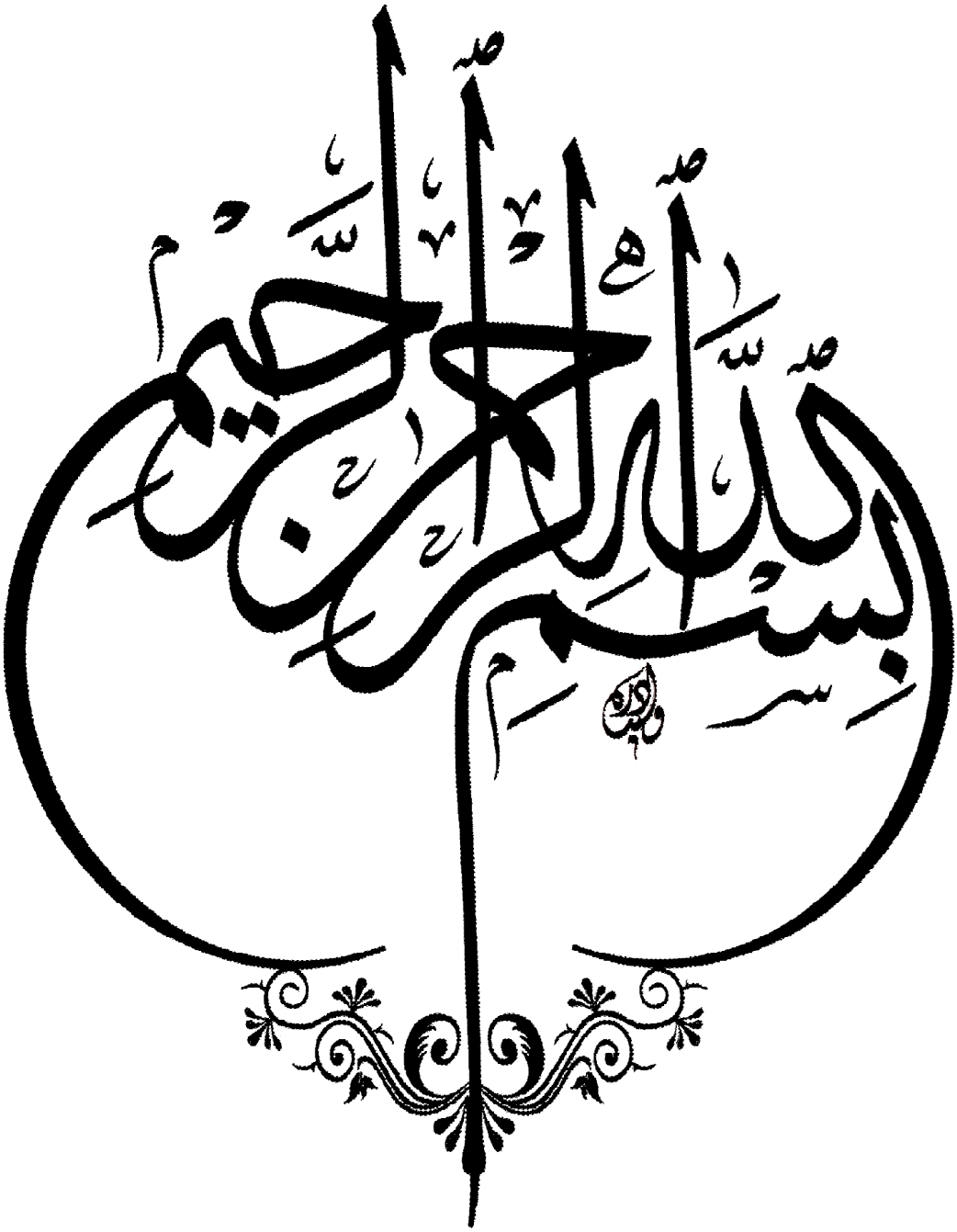
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد:

أحمد الله سبحانه وتعالى إلى أن وفقني لانجاز هذا العمل المتواضع، كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور " سليم كرام " الذي كان له الفضل الكبير في انجازه من خلال توجيهاته وملاحظاته السديدة، فنعم الأستاذ النموذج.

والشكر الموصول إلى كل من مد لي يد العون.

والى كل الأساتذة الذين رافقوني طيلة مشواري الدراسي.

نوال بلقيس

مقدمة

بعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على نبيه الكريم

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه .

من طبيعة المعرفة النقدية أن الأدب ليس شكلا تعبيريا فحسب، بل وانطلاقا مما يحمله من أفكار ومضامين، يشيع رسالة إنسانية فنية ومواقف تتخذ في مواجهة أنواع شتى من السلوكات في ظروف معينة وأحياز زمنية مختلفة، ولكونه صادر من نفس إنسانية معينة في ذلك الزمان والمكان يحمل ثقافة خاصة تخضع لتصورات تلك الظروف، كل هذا الاختلاف والتميز يلقي –دون شك– بظلاله على الإنتاج الإبداعي، وتتناوله الجهود النقدية انطلاقا من زاويا واتجاهات ورؤى مختلفة، ويبقى القاسم المشترك فيها إشارات عن بقايا روافد للتراث والموروث الثقافي والعادات والتقاليد يستحسن الذوق الخاص التعبير عنها في أشكال متنوعة وبألوان خيالية خاصة حتى قيل: "إن الرجل هو الأسلوب".

ويبقى جانب من السحر الغامض في شعر فحول فترة الجاهلية عاملا جذبني إليه في محاولة لاستجلاء جانب من هذا الشموخ والإبهار، وبحكم تكويني الأكاديمي بتخصصي في الأدب القديم حاولت التفتيش في فضول حال احد صناع هذا الإرث العظيم فكان الأقرب إلى نفسي بفعل عناصر وصفات كثيرة، يمكن جمعها في وصف " شخصية متكاملة متزنة متعددة التوجهات" فوقع اختياري على شخصية الشاعر خداش بن زهير العامري لذلك تحدد التفتيش في ديوان هذا الشاعر عن اللمسات الفنية فيه.

وسيحاول هذا البحث الإجابة على جملة من التساؤلات المهمة التي فرضت نفسها بقوة في ظل استخدام المنهج الأسلوبي الحداثي، وتعد الدراسة الأسلوبية الحلقة الرابطة بين اللغة والأدب، فقد استطاعت أن تشق طريقا وسط المناهج النقدية المعاصرة في مقاربتها للخطاب الأدبي، فهي الأداة العلمية التي يتخذها الناطق ليصدر حكمه النقدي، وتكمن أهمية الموضوع في كيف يمكن استثمار المناهج الحديثة في اكتشاف صورة الشعر القديم؟ وكيف يمكن للأسلوبية كمنهج أن تجعلنا نكتشف شاعرنا العربي القديم مرة أخرى

أو بصورة أخرى؟ وهل تطبيق مستويات ذلك المنهج على شخصية خداش بن زهير العامري بمحموله العام وصورته الخاصة ستوصلنا إلى الوقوف على ملامح جديدة تدعم ما كانت عليه في سياق المناهج التقليدية التي كانت مستخدمة في التحليل؟ وفي مقاربة فنية ما قيمة شعرية الشاعر خداش بن زهير من خلال ديوانه؟

فرغم ما ضمّه أدبنا القديم من الشّعراء المميزين، قام التّاريخ بتسجيل أسمائهم وحفظها في انتظار من يميط اللّثام عنها وإعادة كشفها وإحيائها من جديد، فتولّدت لدي الرّغبة في خدمة هذا التّراث، فوقع الاختيار على الشّاعر خداش بن زهير العامري، لما لهذه الشّخصيّة من خصوصيّة ودور في مجتمعه، واِستقرّ الرّأي على أن يكون عنوان البحث **(ديوان خداش بن زهير العامري دراسة أسلوبية فنية)** بحيث يتمّ الولوج إلى هذا الشّعر، بالوقوف على التعدد الأسلوبي فيه، إلى جانب محاولة الكشف عن ماهيّة بنيات أغراضه الشعرية، فكان هذا البحث تلبيّة لعدّة أسباب هي :

– الرّغبة الشّديدة في قراءة الأدب الجاهليّ لما يحتويه من شعر يتّسم بقوّة العارضة الشّعريّة وجمال في الأداء .

– الشّاعر ينتمي إلى الشّعراء المغمورين الذين طوى النّسيان أسماءهم وذهبت الأيّام بدواوينهم. فكان لابدّ من محاولة الحفاظ على هذا التّراث الأدبيّ، وإخراجه إلى النّور حتّى يرقى إلى المكانة التي يستحقّها .

– قوّة الشّعر الجاهليّ وبقائه متماسكا يدفع إلى البحث والقراءة المتجدّدة ليعطينا في كلّ بحث عالما مختلفا **عن** العوالم التي كانت عند النّقاد في العصور الماضيّة .

وعليه اِتّجهنا إلى دراسة الموضوع بمنهج أسلوبي، الإشكاليّة التالية :

– كيف استطاع خداش بن زهير أن يبعث الإثارة في نفس المتلقّي من خلال تشكيلاته الفنيّة ؟

فتحددت ملامح البحث واستوت فكرته بعنوان "**ديوان خداش بن زهير العامري دراسة أسلوبية فنية**"، ولتنسيق الإجابة على الاشكالية وضعت مع مشرفي مشكورا خطة عمل اشتملت **على ثلاثة فصول ؛ يشتمل كل منها على مبحثين، معهم مقدمة وخاتمة كان تفصيلها الآتي:**

فتحددت ملامح البحث واستوت فكرته بعنوان "**ديوان خداش بن زهير العامري دراسة أسلوبية فنية**"، ولتنسيق الإجابة عن تلك التساؤلات وضعت مع مشرفي مشكورا خطة عمل اشتملت على ثلاثة فصول، الأول نظري والثاني والثالث تطبيقيين؛ يشمل كل منها على مبحثين، إضافة إلى مقدمة وخاتمة، وتفصيلها كان كالآتي:

الفصل الأول: بعنوان ماهية الأسلوب والأسلوبية والتعريف بآلياتها وهو بدوره ينقسم إلى مبحثين هما:

المبحث الأول : من الأسلوب إلى الأسلوبية .

المبحث الثاني : آليات الأسلوبية .

الفصل الثاني: يحمل عنوان تجليات المستويين الصوتي والتركيبي هو الآخر يتجزأ إلى مبحثين هما :

المبحث الأول : تجليات المستوى الصوتي .

المبحث الثاني : تجليات المستوى التركيبي.

الفصل الثالث: المعنون بتجليات المستوى الدلالي ودراسة فنية هو الأخر ينقسم إلى مبحثين موضحين كالتالي:

المبحث الأول: تجليات المستوى الدلالي .

المبحث الثاني: دراسة فنية .

وفي الأخير خاتمة تشتمل على خلاصة البحث والتذكير بما تم انجازه في ثنايا صفحات البحث وعرض لأهم النتائج المتوصل إليها .

ولهذا عقدت العزم على أن يكون البحث دراسة أسلوبية لأن المنهج الأسلوبي هو أفضل مدخل لدراسة هذا الديوان، فالتحليل الأسلوبي يركز على ظواهر الأسلوبية الخارجة عن استعمالها العادي، كما يدرس استخدام اللغة على المستوى الفني والجمالي ومستويات أخرى كالصوتي، التركيبي والدلالي المعجمي، قائم على هذه الركائز الأساسية تبدأ بالوصف ثم التحليل ثم استخلاص النتائج، لأنه يكشف عن مواطن الإبداع وسمات يتميز بها شاعرنا خداش عن غيره من الشعراء .

وقد اتخذت جملة المراجع التي ساعدتني في هذه الدراسة من مثل كتاب، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني، إضافة إلى مراجع متخصصة في الأسلوبية منها الأسلوبية وتحليل الخطاب لمنذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب لنور الدين السد، البلاغة والأسلوبية ليوسف أبو العدوس.

وككل بحث تواجهه الصعوبات فمن بين أهم ما واجهني هو تنوع التوجهات الاستخدامية للدراسة الأسلوبية حسب تعدد المصادر والمراجع في هذا الموضوع مما جعلني احتار في أراء النقاد حول هذا المنهج، حيث كانت الصعوبة تكمن في جمع أراء النقاد في فكرة واحدة وبمفهوم واضح، وبتركيبة موحدة.

وفي منتهى هذه الدراسة أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور سليم كرام الذي اشرف على هذه المذكرة، وكان دائما عونا لي، فإن أصبت فبفضل الله تعالى وتوجيهات ونصائح الأستاذ، ومن دون نسيان كل من مد لي يد العون .

الفصل الأول

الفصل الأول: ماهية الأسلوب والأسلوبية والتعريف بآلياتها

المبحث الأول : من الأسلوب إلى الأسلوبية .

المطلب 1 : الأسلوب لغة .

المطلب 2 : الأسلوب اصطلاحا .

المبحث الثاني : آليات الأسلوبية .

المطلب 1 : المستوى الصوتي .

المطلب 2 : المستوى التركيبي .

المطلب 3 : المستوى الدلالي .

تمهيد:

يعد الأسلوب محددا لمدى ملاءمة العناصر الجمالية والوجدانية واللغوية للنص الأدبي مشكلة بذلك صورة واضحة عن تفكير الكاتب حيث تعكس بيئته وشخصيته في نصه الإبداعي، إذ يقودنا التحليل الأسلوبي إلى فهم شحنة الدلالة والعاطفة الكامنة في النص والتي تؤثر فينا كمتلقين ودارسين لها، ولتطبيق هذا النوع من المناهج تستدعي الضرورة الى التعرف على مفهوم الأسلوب وكيف انتقل هذا المفهوم من الأسلوب إلى الأسلوبية، وهذا ما سأبحث فيه وسأحاول تقديم وتبسيط الأفكار التي وجدتها في بحثي لتكون بمثابة تقديم مفهوم للأسلوب .

المبحث الأول : من الأسلوب إلى الأسلوبية .

اعتاد الشعراء في العصر الجاهلي على نقد الأشعار ومن أشهر مجالسهم سوق عكاظ الذي تزعمه النابغة الذبياني، وكان يعطي رأيه وتصوراته النقدية في الأشعار التي كانوا يلقونها عليه وذلك لأنه رجل ذو حكمة ومعرفة واسعة بأيام العرب .

عند مجيء الإسلام توجه العلماء العرب الى اكتشاف أسرار بلاغة الإعجاز القرآني ومصدر الروعة في آياته، ومن هنا تبلورت في أذهانهم فكرة البحث في خصائص الأسلوبية لأنواع الكلام ومختلف الصور الكلامية، دفعهم هذا على التعمق في النقد والبلاغة والبحث في الإعجاز القرآني فألفوا مجموعة كبيرة من الكتب منها : كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني وغيرها من المؤلفات التي تبرز وتبين اهتمام العرب بالنقد والبلاغة. ومنه فان علماء الأدب جمعوا بحوث النقد والأدب مع البيان واستفادوا منها في بحثهم في مظاهر البيان وأسرار البلاغة وهذا ما قادهم للبحث في البلاغة نفسها. وهذه الأخيرة على الرغم من اتساع مجال دراستها فهي فن للإبداع وكتابة الخطابات الأدبية حيث شملت التعبير

اللساني كله فهي كغيرها من العلوم الإنسانية وصلت حد الذروة في تطورها ثم تراجع اتساعها وضاق مجال عملها حيث اختصت في دراسة جمالية النص وأصبحت تدرس كيفية الإقناع وأصبح الأدب مركز عمل البلاغة ومن هنا أصبحت البلاغة تعمل في حدود التعبير اللغوي للنص .

يعتبر الإبداع مرآة عاكسة لصاحبه فالشاعر أو المبدع ابن بيئته، يصور ما يراه وما يشعر به في مختلف أيام حياته ويختلف هذا الإبداع من شخص لآخر بحكم البيئة التي يعيش فيها والطبيعة التي ينتمي لها والمجتمع الذي يخرج منه، ومن هنا يمكن تجسيد الإبداع في الأسلوب. فإذا أردنا معرفة شخصية المبدع والغوص في أفكاره بغية معرفة قناعاته ورؤيته المستقبلية يقودنا هذا البحث الى التعمق في أسلوبه وفنياته المتكررة في كتاباته وإبداعاته ومن هنا نستطيع تحديد شخصية الكاتب من خلال أسلوبه .

إن الإبداع الذي تميز به كل كاتب من خلال أسلوبه التعبيري وما يختلف به في مجموع كتاباته عن غيره من الكتاب والمبدعين، هذا التميز والأسلوب الخاص أثار الدارسين وساقهم للبحث في هذه الممارسات الإبداعية لأصحاب النصوص فحاولوا جاهدين حصر عناصر الأسلوب وتحديد تعريف واحد وشامل له، وهذا ما سأحاول التطرق اليه في تعريف القدامى والمحدثين للأسلوب .

لتنوعه استدعت الضرورة إلى تشعب مناهج دراسته منها المنهج البنيوي، التفكيكي والأسلوبي الذي يدرس النص الأدبي دراسة عميقة لمعرفة مزايا وخبايا الخطاب الأدبي. وهو ما سأطبقه في هذه الدراسة وقبل تطبيقه يجب أولا معرفته وتعريفه:

المطلب 1 : الأسلوب لغة .

توالت التعريفات والشروحات للفظة الأسلوب منها ما كان لغويا موضحا في معاجم وقواميس اللغة العربية، ومنها ما كان اصطلاحيا تفنن فيه الأدباء والعلماء العرب، تغيرت وتباينت هاته التعريفات مع مرور الزمن .

يختلف الأسلوب عن الأسلوبية في أن الأسلوبية هي طريقة يدرس بها الأديب أو الناقد النص الأدبي القديم في حلة حديثة، أما الأسلوب فقد عرفه العرب قديما وذكروه في معاجمهم منها ما جاء به ابن منظور في معجمه لسان العرب وأيضا أساس البلاغة للزمخشري حيث تطرقوا إليها بمعاني مختلفة كل حسب السياق الذي تذكر فيه .

عرف ابن منظور الأسلوب على أنه لفظة ذات العديد من المعاني وليست فريدة المعنى حيث رأى بأن «الأسلوب يعني الطريق والمذهب والوجه وكذلك يعرف السطر من النخيل بالأسلوب وربط الأسلوب عند الضم بالفن وجمع كلمة أسلوب هي أساليب»[1]. أي أنها كلما وضعت في جملة تكتسب معنى مختلف تتميز به ويمثلها.

ذكر الزمخشري أيضا لفظة الأسلوب ورأى بأنها عند العرب متعددة الاستعمالات والمفاهيم حيث يستخرج مفهومها من سياق الكلام، فقالت العرب قديما في تعريفها للحداد «تسلبت على ميتها وأسلاب القتلى،وقالت العرب أيضا في المجاز سلبه قلبه وعقله ويقولون شجرة سليب أي نزعوا ثمارها وأوراقها»[2]. أي أنها في كل موضع تلبس معنى معين حيث عرفها العرب واستعملوها قديما في حياتهم اليومية وأيامهم .

لم يختلف ابن منظور والزمخشري في تحديدهما لمقاصد ومفاهيم لفظة الأسلوب في اللغة العربية على أنها ذات معاني عديدة ومتنوعة تختلف باختلاف موضعها في الجملة والمقصد الذي توحي إليه من سياق الكلام المستعمل في التعابير الواقعية منها والمجازية.

---

[1] أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 98.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، مادة سلب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 452 .

بعد ما تطرقت إلى تعريف الأسلوب لغة وما ذكره أدباء اللغة العربية، حاولت جاهدة ذكر رأي بعض العلماء في الأسلوبية قديما وحديثا وكيف عرفوها اصطلاحا :

المطلب 2 : اصطلاحا .

مما سبق يمكن القول أن انتشار مصطلح الأسلوب في الأوساط الأدبية مهد لظهور الأسلوبية كعلم قائم بذاته هذا ما أشار إليه البلاغيون والنقاد والأدباء القدامى والمحدثون حيث عرفوها :

أ– قديما :

اهتم النقاد والأدباء العرب بداية من القرن الثاني للهجرة بأسرار البيان والبلاغة والفصاحة في اللغة العربية، ومن ثم بدأت أولى الدراسات لبيان اللسان العربي وخاصة عند معالجتهم لقضايا الأسلوب وقضية الإعجاز القرآني ومن أبرز من خاض غمار البحث في موضوع الأسلوب نجد:

ابن قتيبة: يعد ابن قتيبة أول من أشار إلى موضوع الأسلوب في الخطاب القرآني حيث «جعل من أسباب معرفة فضل القرآن اتساع العلم باللغة العربية وأساليبها وما خص به الله تعالى لغة العرب من تنوع في الأساليب وكذا ضرورة معرفة مذاهب العرب واهتمامهم بالأسلوب ودلالاته»[1]، فمن عادة العرب حسب ما يراه ابن قتيبة تفننهم في الأساليب واهتمامهم الكبير بها، حتى أنك تجد الخطيب منهم ينوع في الأساليب كلما دعت الحاجة إلى ذلك فهو يطيل تارة بغية الإفهام وإيصال الأفكار ويكرر تارة بغية التوكيد والتشديد على الأمر ويخفي بعض المعاني حتى أنه يشكل على السامعين الفهم ولا يصل إلى درره إلا القليل أو يبالغ في البسط حتى لا يبقى للإخفاء شيء ويسهل معه

[1] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه و نشره : أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط 2، 1973 م، ص 12 – 13 .

الفهم حتى على الأعجمين، كل هذا اعتمادا على المقام والمناسبة ولخص ابن قتيبة هذا في عبارة لكل مقام مقال .

عبد القاهر الجرجاني: تحدث الجرجاني في المجاز والاستعارة وأساليب التقديم والتأخير ودلالاتها في اللغة، شرح عبد القاهر الأسلوب على انه نظم للمعاني وترتيب لها ويشير إلى أن الألفاظ هي وسائل لحمل المعاني سواءً كانت هذه الألفاظ مسجوعة أو غير مسجوعة، ومن هنا فان الجرجاني يربط مفهوم «الأسلوب بمفهومه للنظم والطريقة فيه يتخذها شاعر ويعتمد عليها في شعره»[1]. وبالمعاني التي تحملها الألفاظ وهو الطريقة الخاصة في ترتيب وتنظيم المعاني مما يميز أسلوبا عن أسلوب أو ضربا عن ضرب .

توافق ابن قتيبة والجرجاني في تعريفهما للأسلوب فكلاهما ينصب تعريفه في أن الأسلوب نظم للمعاني وحسن صياغتها وانه الطريقة التي يتميز بها شخص عن غيره .

ب – حديثا :

مع مرور الزمن وتطور العلم والمعرفة وخاصة التطور الذي شهده القرن العشرون واحتكاك العرب بالغرب، كانت الأسلوبية وليدة هذا الاحتكاك، فهي تعتبر أول ما ظهرت كعلم قائم بذاته مع عالم اللسانيات فردناند ديسوسير وتلميذه شارل بالي إلا أن العرب أخذوا زمام الأمور وتفننوا في تعريفها واستعمالها كمنهج لدراسة الخطابات الأدبية ومن الذين كانت لهم رؤيا واضحة في تحديدهم لمفهومها نجد :

منذر عياشي: اعتبر منذر الأسلوبية علما يهتم بدراسة اللغة والخطاب الأدبي في مختلف المستويات بحيث أنها متنوعة الأهداف والاتجاهات وليست حكرا على ميدان تعبيري واحد «هذا لا يخفي بأن الأسلوبية كانت ولا تزال صلة اللسانيات بالأدب ونقده»[2]،

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق : محمود شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 3، 1992 م، ص 468 .

[2] منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار النينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2015م، ص25.

ولذا فهي مرتبطة باللسانيات وبالتاريخ وبالأدب ومتشعبة في ميادين الحياة المختلفة .وفي رأي أخر يقول **نور الدين السد** : وهو من بلور فكرة أن الأسلوبية «هي العلم الذي يدرس جماليات اللغة دراسة علمية وفق مناهج وإجراءات دقيقة تمكننا من الوصول إلى تحليل واستخراج الخصائص الجمالية للغتنا وخطابنا»[1]. حيث اعتبر نور الدين السد أن لكل لغة خصائصها الجمالية التي تميزها عن باقي اللغات وأكد على إلزامية وجود قوانين علمية في الأسلوبية الهدف منها دراسة الخطاب الأدبي واستخراج جمالياته ومميزاته، وأكد على أن الأسلوبية انجاز حققته الإنسانية عبر تطورها المعرفي.

اختلفت وتباينت تعريفات الأسلوبية عند المحدثين فمنهم من ربطها باللسانيات واعتبرها جذرا ممتدا للبلاغة القديمة، والبعض الآخر ربطها بدراسة الجماليات والخصائص الفنية واللغوية للخطاب الأدبي، هذا ما يميز بين الدراسات ويشكل تنوعا في القراءات شكل هذا التنوع والاختلاف لمجموعة من التعريفات للأسلوبية لوحة فنية زاهية الألوان يؤكد هذا على أن الأسلوبية أم وأصل لمختلف الدراسات التي تنحدر منها مثلها مثل شجرة لها أغصان وثمار.

بما أن بحثي هو دراسة أسلوبية لديوان أحد فحول شعراء الجاهلية كان لا بد لي من تعريفي أولا لآليات هذه الدراسة .

المبحث الثاني: آليات الأسلوبية .

كغيرها من الدراسات فالأسلوبية لها منهجها وطريقتها الخاصة في تحليل النصوص، حيث يسعى فيها التحليل الأسلوبي إلى التعمق في جوهر النص وما يحمله من طرق تعبيرية تفوق الجوانب السطحية والفوقية وهذا باستخدام آليات وأدوات تمكن الدارس من

[1] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010م، ص35-36.

الوصول إلى دراسة شاملة للنص، يكشف فيها عن اتساق وانسجام الكلمات وموضعها في الجملة ويتعدى هذا إلى موضع الجملة في النص .

اجمع اغلب الدارسين على أن التحليل الأسلوبي يكون عبر ثلاثة مستويات لغوية مشهورة ومعروفة متمثلة في: المستوى الصوتي، المستوى التركيبي والمستوى الدلالي .

المطلب 1 : المستوى الصوتي .

تطورت الكتابة عبر العصور ففي القديم كانت عبارة عن رسومات تصويرية ونقوش عبر بها الإنسان البدائي عن حياته ونشاطاته اليومية، إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن من حروف ونقاط،وعبروا أيضا بأصواتهم واهتموا بهذا العلم فالمستوى الصوتي أو ما يسمى علم تجويد الأصوات وهو أساس علم الفونولوجيا الذي يدرس الأصوات اللغوية ويهتم بتنظيم الأصوات داخل الكلام، وبهذا يعتبر الصوت شكلا لتجسيد المعنى اللغوي .

الصوت هو الوحدة الأساسية للغة حيث عرفه الدكتور خليل إبراهيم العطية في قوله أن ابن سينا قال: «الصوت تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان»[1] وللصوت وقع جمالي وتأثير على أذن السامع والمتلقي ويزداد هذا الجمال رونقا إذا كان شعرا، يتميز الشعر العربي منذ القديم باهتمام الشعراء باختيار الألفاظ والأصوات ذات الدلالات العميقة التي تساعدهم على الحفظ والاستمتاع والتغني بتلك الأشعار .

يمكن حصر المستوى الصوتي في موسيقى خارجية تتركز على الوزن والقافية حيث يعد الوزن عمود للشعر العربي ولا يسمى الشعر شعرا دون وزن أما القافية فهي أخت الوزن ولا يمكن الاستغناء عنها مثلهما مثل اقتران الروح بالجسد، وموسيقى أخرى داخلية

[1] خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، 1983 ص8 .

متمثلة في المحسنات البديعية بمختلف أنواعها من سجع، جناس، طباق. يؤدي كل صنف منها دورا جماليا وفنيا للمستوى الصوتي .

وضع الدارسون المستوى الصوتي كأساس أول في التحليل الأسلوبي حيث اعتبروه المبدأ لجمالية النص أي أول ما يجذب القارئ والدارس للنص هو المستوى الصوتي، وذلك باعتبار الدراسة التحليلية الصوتية هي الخطوة الأولى لفهم واستيعاب أي نص أدبي.

المطلب 2 : المستوى التركيبي .

المستوى التركيبي أو ما يسمى بالمستوى النحوي قديما لأنه يتشكل من دراسة نحوية للنص الأدبي حيث يهتم باتساق وانسجام الكلمات وموضعها في الجملة، فتشكل وتجسد هذه الكلمات ما يدعى بالدلالة التركيبية التي تتكون بفعل عبارات . ينطوي هذا كله تحت نظم وتركيب معين سمي في اللسانيات الحديثة بمصطلح السياق اللغوي، ويهتم هذا القسم بدراسة الجملة باعتبارها الوحدة الأساسية اللسانية للغة في عملية التواصل[1]، حيث أن الاختلاف بين النحاة واضح وجلي منذ القديم في الجملة لأنهم اختلفوا في تقسيماتها من جملة اسمية وهي التي تبدأ بشتى أنواع الأسماء (اسم علم، أسماء الأشياء وضمائر ...) . أو جملة فعلية وهي الأخرى التي تبدأ بفعل (ماضي، مضارع، أمر) أو جملة خبرية والتي تحمل بين طياتها أسلوب خبري أو جملة إنشائية ذات أسلوب إنشائي (الأمر، النهي، النفي، الاستفهام ...) .

كما يعد التكرار بكافة أنواعه (تكرار الحرف، الكلمة والجملة) احد مباحث المستوى التركيبي للغة لأنه يهتم بدراسة ترتيب الألفاظ داخل الجملة للحصول على جملة متماسكة قوية المعنى تتماشى مع الوزن والقافية دون إخلال بالمعنى .

[1] ينظر : يوسف أبو العدوس البلاغة والأسلوبية ، دار الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 1999م ، ص180.

تخضع الجملة في اللغة العربية إلى ترتيب ونظام معين فمثلا الجملة الاسمية تبدأ بمبتدأ ثم خبر ثم إضافات أخرى، والجملة الفعلية تبدأ بفعل ثم فاعل ثم مفعول به ثم إضافات أخرى، لكن الإخلال بهذا النظام والتركيب لا يعد عيبا في اللغة العربية بل يزيدها جمالا، وقد فتحت الضرورة الشعرية الباب على مصراعيه للشعراء العرب للتعبير عن أحاسيسهم وما بداخلهم دون تقيد بهذا التركيب فالتقديم والتأخير قد يحدث في الشعر لضرورة توازن البيت الشعري أو لضرورة توجبها الناحية الصوتية. وفي هذا الشأن قيل يجوز للشعراء مالا يجوز لغيرهم .

المطلب 3 : المستوى الدلالي.

المستوى الدلالي يعرف أيضا بعلم الدلالة وهو مستوى من مستويات التحليل الأسلوبي وجزء لا يتجزأ من علم اللغة وهذا الأخير هو شبكة اتصال وهمزة وصل بين مكونات النص الأدبي حيث يبحث في ترابط وعلاقات الرموز والشفرات بالنص هذا ما يجعل النص الأدبي مترابطا ومتكاملا كالجسد الواحد، وقد لمح عالم اللسانيات **فرديناند دوسوسير** إلى أن علم الدلالة يعني الدال والمدلول وما يربطهما، و«يبحث التحليل الدلالي في العلاقة بين الدال (اللفظ) والمدلول (المعنى) من أجل الربط بينهما ويهتم أيضا بدراسة دلالة الألفاظ والكلمات المفتاحية والغوص في مفاهيم وأعماق الصيغ والاستفهامات وهذا بالكشف عن المعاجم اللغوية والرموز والصورة الشعرية التي تترتب على التشبيه، الاستعارة والكناية وأيضا الحقول الدلالية المتواجدة في الشعر الذي بين أيدينا»[1]. الهدف منه الوصول إلى سمات أسلوب النص ومميزاته .

تتغير دلالة الكلمة بفعل الخيال والمجاز من معنى إلى آخر، بهذا فان المستوى الدلالي يتركز على علم الدلالة حيث يدرس دلالات الكلمات في معجم لغة معينة ويهتم

[1] ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ص250.

بأسلوب الكلمة، ويعتبر الصورة الشعرية والحقول الدلالية أهم عمودين يتركز عليهما الدارس في هذا المستوى لأن كل منهما يدرس النص من ناحية مختلفة .

إن اللغة هي ابنة المجتمع فهي تتغير بتغيره وبتغير متطلبات المحيط الطبيعي وتتطور بتطوره، يخلق هذا التغير الدلالي تنوع كبير في الدراسات والقراءات للنصوص الأدبية بهذا يحاول التحليل الدلالي تبيان هذه التغيرات التي تحدث في التركيب اللغوية والبحث فيها، وذلك بتأنٍ وتدقيق وتفصيل وباستخدام مجموعة من الأدوات ترصد وتستخرج هذه التغيرات، لا يمكن لأي شخص عادي أن يستخرج ويوضح هذه التغيرات بل تكون نابعة من إنسان يتمتع بالوعي العلمي ويتميز بخاصية التدقيق والتمحيص والتذوق الفني .

يعرف تخصيص الدلالة بتبديل الكلمة من معنى عام إلى معنى خاص هذا ما يقلص مجال استعمالها أما تعميم الدلالة فيعني العكس ففيه يتعدد استعمال الكلمة بشكل أوسع، وبهذا يصبح مجال استعمالها كبيرا وشاسعا، أما ما يسمى برقي أو انحطاط الدلالة فهو يرتبط بشكل وثيق بالاستعمال الاجتماعي للكلمة وقد تصعد الكلمة للذروة أو تنزل إلى القاع في فترة وجيزة مثلها مثل كناية طول اليد التي كان استخدامها قديما بمعنى الكرم والجود وتغير معنى استعمالها وأصبحت تعبر عن السارق وتعتبر من صفاته وتشير له .

يتطور العقل الإنساني ويرتقي فينقل دلالة الكلمة من حسية غير ملموسة إلى تجريبية واقعية موجودة، كما تقوم اللغة أيضا بتهذيب بعض الكلمات والألفاظ لأن دلالاتها مكروهة ولا تتطابق مع معايير فئة معينة من المجتمع أو تتنافى مع عقيدتهم ودينهم وفكرهم فتغير اللغة معنى الكلمة بمعنى آخر يقبله فكر وثقافة المجتمع ويتفق مع حسهم التربوي، هذا ما يعرف باللامساس فيؤدي إلى تهذيب التعبير لتلطيف الكلام وهو تغير معنى كلمة حادة بكلمة ذات معنى أقل حدة .

تتشكل الكلمة في اللغة العربية من ثلاث أسس ما يدعى مثلث المعنى كما سماها محمد علي الخولي في كتابه علم الدلالة علم المعنى وهي«الكلمة والمعنى والمدلول عليه»[1]، ومنه فان لدلالات اللغة أنواع نذكرها كالتالي :

. أنواع الدلالة في اللغة :

. الدلالة الصوتية : تعني التأثير الصوتي مثال على ذلك قول "هز" للتحريك القوي والواضح وقول "أز" للتحريك الخفي والضعيف .

. الدلالة الصرفية: وهي تركيب الكلمة وحسن صياغتها مثل : كذاب دلالتها ومعناها أقوى من كاذب لأن صيغة فعال أقوى من صيغة فاعل .

. الدلالة المعجمية: وهي ما تحمله الكلمة من معنى ودلالة خاصة تنفرد بها في المعاجم أو أثناء توظيفها في الكلام والتعبير .

. الدلالة النحوية: وهي كيفية استعمال وتوظيف الأسلوب النحوي في الكلمة بحيث توضح العلاقة بين الأساليب النحوية ومقاصدها .

تتمثل أهمية علم الدلالة في علاقته بالعلوم الأخرى وارتباطه بها، فكل هذه العلوم والمستويات (صوتي، صرفي، نحوي، ...) تشكل لوحة ملونة تتمثل في الأسلوب المميز والتعبير الدلالي المناسب .

بعد تعرفنا على آليات الأسلوبية أصبح لابد من تطبيقها على الشعر الذي بين أيدينا وعليه، فقد حاولت من خلال تطبيق هذا المنهج أن أستنبط مميزات الشعر الجاهلي عامة وشعر خداش بن زهير العامري خاصة.

[1] محمد علي الخولي، علم الدلالة، علم المعنى، دار الفلاح للنشر، عمان، ط1، 2001 م، ص13 .

الفصل الثاني

الفصل الثاني: تجليات المستويين الصوتي والتركيبي

المبحث الأول : تجليات المستوى الصوتي .

المطلب 1 . الموسيقى الخارجية .

. الوزن .

. القافية .

المطلب 2 . الموسيقى الداخلية .

. الطباق .

. التصريع .

. الجناس .

المبحث الثاني : تجليات المستوى التركيبي .

المطلب 1 . الأساليب وأنواع الجمل .

. الأساليب (أسلوب خبري . أسلوب انشائي) .

. أنواع الجمل (جملة اسمية . جملة فعلية) .

المطلب 2 . أسلوب التكرار .

. تكرار الحرف .

. تكرار الكلمة .

تكرار الجملة .

المبحث الأول : تجليات المستوى الصوتي .

تمهيد:

تستدعي الممارسة النقدية في عملية القراءة استخدام مجموعة من المناهج و الأسس منها المنهج الأسلوبي الذي يعد من بين أكثر المناهج ممارسة واستعمالا في النقد العربي حيث يتفنن فيه الناقد أو القارئ ويبدع في استخدامه، وفي توضيح مميزات النص الأدبي والإبداع العربي .

تكون هذه الممارسة عبر ثلاث مستويات مشهورة هي المستوى الصوتي، التركيبي والدلالي، وسأحاول في هذه الدراسة أن أطبق هذه المستويات على ديوان شعري لأحد فحول العصر الجاهلي ألا هو خداش بن زهير العامري .

وحرصت الأسلوبية على قيمة المستوى الصوتي في تنظيمها لأسس دراستها واعتبرت الصوت وحدة أساسية في عملها لما يتجلى فيه من أهمية في إبراز نفسية القائل أو الكاتب لأن الصوت «ظاهرة ندرك أثرها دون أن ندرك كمها، فقد أثبت علماء الصوت بتجارب قد لا يطرق اليها الشك أن لكل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز»[1]، وأول ما يجذب القارئ .

قسمت الأسلوبية المستوى الصوتي إلى موسيقى داخلية وموسيقى خارجية لكل منهما دور خاص في توضيح مزايا النص الأدبي، حيث تكون الموسيقى «من أهم ركائز الإبداع الفني في الشعر، إذ يقترب هذا الأخير من النثر كلما خف تأثير إيقاعاتها، وخير دليل على ذلك ما استوقفته الأذن الرهيفة للفرهيدي التي استنبط منها مقادير وزنية محكمة

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط3، 1995م، ص 9

سماها بحورا، بحيث تكون هذه الموسيقى الإيقاع الوزني المنتظم»[1]، وقد وضع التحليل الأسلوبي نقاط وحدد محتوى كل قسم منها حيث نجد :

المطلب 1: الموسيقى الخارجية :

إن أول ما يشد انتباه القارئ للشعر العربي هو الوزن والقافية، إذ يعبر بهما المؤلف أو المبدع الأدبي عن «وعي الفرد وخبرته، فان اللغة في الصيغة الأدبية تعتمد على خصائص فنية ترتفع بها فوق مستوى لغة الكلام العادي لدى أفراد إنسانية، إذ تعتمد على طرائق شتى من التفكير والتعبير»[2]، فكلاهما مهم وأساس من أسس الشعر حيث يتضافران ليشكلا نغمة ورنينا خفيفا على السامعين يسهل عليهم حفظه وتداوله لأجيال «لأن الباحثين يعقدون الصلة بين عاطفة الشاعر وما تخيّره من أوزان لشعره»[3]. وسأحاول في هذه الدراسة تبيان مميزات الوزن والقافية في شعر خداش .

أولا : الوزن .

الوزن هو الحجر الأساس الذي يقوم عليه الشعر العربي فالفراهيدي صنف الأوزان الشعرية وقسمها ووضع خمسة عشر بحرا، ثم أضاف تلميذه الأخفش بحرا حتى أصبح مجموعها ستة عشر بحرا، تنظم هذه الأوزان الأشعار ولا يمكن الاستغناء عنها، إذ أن «الشعر إبداع فني له قوانين إيقاعية مضبوطة، تتوازن إيقاعاتها، ويحسن وقعها على الأسماع»[4] حيث عرف بعض الأدباء الشعر على انه: كلام موزون مقفى. وبغياب الأوزان يصبح الشعر مجرد كلام وليس شعرا.

[1] عبد الرحمان الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد، دمشق، سوريا، ط1، 1989م، ص 50

[2] يوسف حسن نوفل، أصوات النص الشعري، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، مصر، ط1، 1995م، ص 21

[3] أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط5، 1978م، ص 178

[4] عبد الرحمان الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، ص 51

لقد شاع البحر الطويل في أغلب قصائد الشعر القديم لأنه يتسم برحابة في المساحة الصوتية بحيث كان أكثر الأوزان العروضية استخداما، «لأنه ليس في الشعر ما يبلغ عدد حروفه ثمانية وأربعين حرفا»[1]، بحيث يكون واسع الإحساس ومفعم الشعور وهذا ما أتاح لكثير من الشعراء أن ينظموا قصائد على وزنه من هؤلاء الشعراء خداش بن زهير العامري الذي استغل شعور وإحساس البحر الطويل في نظم العديد من قصائده .

ومن أمثلة البحر الطويل في شعر خداش قوله :

إذَا مَا الثُرَيَا أَشرَفَت في قتَامهَا فُوَيقَ رُؤوس النَاس كَالرُفقَة الْسفُر

وَأَردَفَت الجَوزَاء يَبرُقُ نَظمُهَا كَلَون الصَوَار في مَرَاتعه الزُهر

إذَا أَمسَت الشعرَى استَقَلَ شُعَاعُهَا عَلى طَلسَة من قُر أَيَامهَا الغُبر [2]

وصف الشاعر في مطلع القصيدة إقبال قومه وظهورهم خلال الحروب وشبههم بالنجوم (الجوزاء، الشعرى...) التي تطلع فتضيء الظلمات وتنير الدروب، حيث يفتخر بهم، ويصفهم بذوي العلم والمعرفة والفحولة .

وقوله أيضا في إحدى معارك قومه :

أَتَتنَا قُرَيشُ حَافلينَ بجَمْعهمْ عَلَيْهمْ منَ الرَحْمَان وَاق وَنَاصرُ

فَلَمَا دَنَوْنَا للْقبَاب وَأَهْلهَا أُتيحَ لَنَا رَيْبُ مَعَ اللَيْل نَاجرُ

أُتيحَتْ لَنَا بَكْر وَحَوْلَ لوَائهَا كَتَائبُ يَخْشَاهَا العَزيزُ اَلْمُكَاثرُ

جَثَتْ دُونَهُمْ بَكْرُ فَلَمْ نَسْتَطعْهُمْ كَأَنَهُمْ بالمَشْرَفيَة سَامرُ [3]

[1] الخطيب التبريزي،كتاب الكافي في العروض والقوافي، تح: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1994م، ص22 .

[2] الديوان، ص 46

[3] المصدر نفسه، ص 69

استهل خداش قصيدته المشهورة عن يوم الفجار بوصفه استعداد الفرسان والخيول والكتائب الحربية للقتال وهيأتها، وصور لنا الروح المعنوية للجيشين المتصارعين واصفا بذلك قدوم قريش وجمعها ودخولها ساحة القتال، كأنها محمية من الله حتى بدأت الحرب وتخاذلت قبائل هوازن وعامر وسليم وكان النصر حليف قريش في تلك المعركة .

نظم ابن زهير العامري معظم قصائد ديوانه على تفعيلات البحر الطويل حيث نوع من الأغراض فيها من فخر ووصف للحروب إلى الهجاء قائلا في هجائه لعبد الله بن جدعان :

وَأُنْبِئْتُ ذَا الضَرْع ابْنَ جُدْعَانَ سَبَنِيً وَاني بذي الضَرْع ابْن جُدَعَانَ عَالَمُ

أَغَرَكَ إنْ كَانَتْ لبَطْنكَ عُكْنَة وَاَنَكَ مَكْفي بمَكَةَ طَاعمُ

وَتَرْضَى بأنْ يُهْدَى لَكَ العَقْلُ مُصْلحَا وَتَحْنَقُ اَنْ تُجْنَى عَلَيْكَ العَظَائمُ[1]

بدأ خداش مطلع قصيدته بهجائه لعبد الله بن جدعان حيث عايره بمجموعة من الصفات السيئة منها الرذيلة والذل والخضوع أي انه عديم الشخصية لا يحرك ساكنا ولم يكتف بهذا بل تعداه إلى الانتقاص من شكله وبنيته الجسمية حيث وصفه أيضا بصاحب البطن الطويل من شدة سمنته .

من خلال دراستي لديوان الشاعر الجاهلي خداش بن زهير العامري توصلت إلى أن الشاعر وظف البحر الطويل في ست وعشرين قصيدة .

من هنا إنما يقودنا هذا إلى أن الشعر القديم يخدمه البحر الطويل لأنه يعبر عن الأغراض التي سادت في عصر خداش من فخر، هجاء وغزل ونجده يستخدم في وصف الحروب وأيام القبائل العربية لأن تفعيلاته تجسد الصورة الفنية التي يسعى الشاعر لإيصالها إلى كل من يسمع شعره ويعيه .

[1] الديوان، ص 95

تنوعت البحور الشعرية التي وظفها خداش في تعداد ديوانه من الطويل إلى الوافر والبسيط وغيرهم ... ففي الوافر نظم ثلاث عشرة قصيدة ومن أمثلة ذلك قوله :

اَلَمْ يَبْلُغْكَ بالعَبْلَاء اَنا ضَرَبْنَا خَنْدَفَا حَتَى اسْتَقَادُوا

نَبْني بالمَنَازل عزُ قَيْس وَوَدُوا لَو تُسيخُ بنَا البلَادُ [1]

تشرح هذه الأبيات فخر واعتزاز الشاعر ببطولات قبيلة قيس والتغني بهم، وكيف أنهم اسقطوا قبيلة خندف التي كانت ترجو أن تختفي قبيلة قيس وتباد .

وفي مثال آخر عن الوافر نجده يهجو احد خصومه قائلا :

فانَكَ لاَ يَضُرُكض بعدَ حَول أظَبيٌ كانَ أمُكَ أم حمَارُ

فقَد لَحقَ الاسافلُ بالأعَالي ومَاجَ اللؤُمُ واختَلطض النجَارُ

وعادَ العبدُ مثلَأبي قبيس وسيقَ معَ المُعلهَجة العشَارُ [2]

في هذه الأبيات هجا خداش احد خصومه ووصفه بالعبد الحقير وان العبيد لا تناطح سيدها ابو قبيس وهو جبل بمكة وانه مهما تفشت الخصال القبيحة، فانه لا يمكن للاراذل حيازة مراتب الشرف والكرامة .

أما البحر البسيط فنجد الديوان يحتوي على تسعة قصائد، سمي بسيطا لأن: «الأسباب انبسطت في أجزاءه السباعية فحصل في أول كل جزء من أجزاءه السباعية سببان، وقيل لانبساط الحركات في عروضه وضربه»[3]. وهذا ما ساعد خداش في التعبير عما يجول في داخله ومن أمثلة ما نظم به خداش في البحر البسيط نجد :

إني منَ النَفر المُحَمَر أعيُنهمُ أهلُ السَوام وأهلُ الصَخر واللُوبل

[1] الديوان، ص 63

[2] المصدر نفسه، ص 66-67

[3] الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض و القوافي، تح : الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، ص39 .

الطاَعنينَ نُحورَ الخَيل مُقبلَة بكُل سَمراءَ لم تُعلَب ومَعلوُب

وقَد بَلوتُم فَابلَوكُم ببلاَءهمُ يَومَ الحَريرَة ضَربًا غيرَ مَكذوُب[1]

إن اتساع خيال خداش مكنه من تأليف صورة جميلة عن قومه فهو يفخر بهم ويقول بأنهم قوم شديدو المراس ولا يهابون الخيول وهي مقبلة فيطعنونها في نحورها غير أبهين بأعدائهم مقبلين غير مدبرين .

قد تتغير التفعيلات ولا تتطابق مع مفاتيح البحور لأنها تدخل عليها بعض الزحافات والعلل وهذا للضرورة الشعرية وما تقتضيه الحاجة إلى ذلك، حيث اهتم خداش باختيار الوزن المناسب للحالة الشعورية وهذا لم يكن بشكل اعتباطي رغم انه من السليقة إلا انه كان يحسن اختيار الأوزان التي تصف مشاعره وأحاسيسه وتعطيه مساحة كبيرة للتعبير عنها، فهاته المشاعر هي المسؤولة عن تحديد البحر الذي يوظفه الشاعر في إبداعه الفني فتعطينا صورة عن مشاعره وما تتنفسه روحه من شجن الأحاسيس فتتوافق مع مساحة وفضاء التفاعيل المختارة في البحر .

بعد دراستي للديوان الذي بين أيدينا توصلت إلى إحصاءات جمعتها في الجدول التالي:

البحر الطويل:

$360 \rightarrow 59$

$X \rightarrow 26$

$X = 158.6^{\circ}$

البحر	الطويل	الوافر	البسيط	المتقارب	الكامل	الرمل
عدد القصائد	26	13	9	5	5	1

[1] الديوان، ص 59

النسبة	158.6	79.3	55	30.5	30.5	6.1

يشكل الجدول المقابل نسبة توظيف خداش للبحور الشعرية حيث نلاحظ انه اعتمد بشكل كبير على البحر الطويل، لان الشاعر ابن بيئته فهو ينقل ما يراه في يومه من تجارب بصدق وأمانة، أما البحور الأخرى استخدمها الشاعر ببساطة لأنه وليد الطبيعة البدوية التي تعتمد على الفطرة والطبع فيبتعد فيها الشاعر عن التكلف والصنعة فهو لا يقول شيئا لا يشعر به .

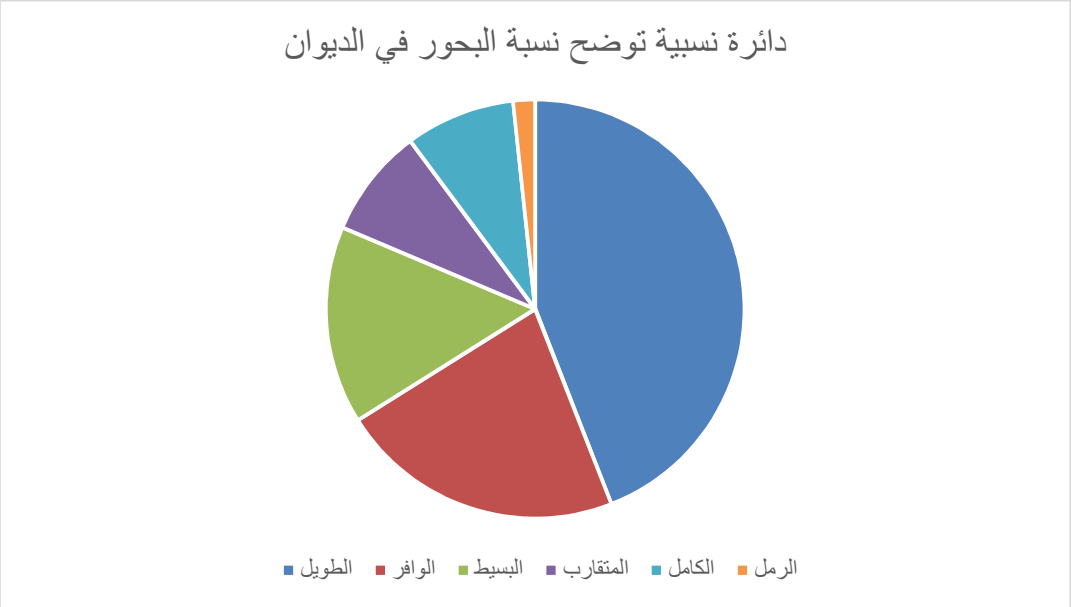

توضح هذه الدائرة نسبة استعمال كل بحر من البحور في شعر خداش بن زهير حيث يمكننا القول أن هذه النسب متذبذبة وغير متكافئة لان خداش نوع في نظمه للديوان ولم يعتمد على بحر واحد، هذا التنوع نابع من اتساع الطبيعة الصحراوية التي أتاحت لخداش خيالا واسعا وألهمته فرسم لوحة ملونة من الأشعار .

ثانيا: القافية

إن من ضوابط الشعر العربي القديم استقلال كل بيت بمعناه الخاص، ظهرت القافية على إنها احد هذه الضوابط وتعتبر الأكثر بروزا بعد الوزن لأنها تمثل الجانب الموسيقي

الذي يميز القصائد والتي يلزم تكرارها في كل بيت شعري لأنها تعتبر نقطة نهاية المعنى بحيث تتوقف الدلالة عندها .

توقف علماء العروض عند القافية وعرفوها بأنها «المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت»[1]. وقد وضع مؤسس علم العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي حروف القافية في ستة حروف سماها كالتالي :" الروي، الوصل، الخروج، الردف، التأسيس، الدخيل" ويعتبر حرف الروي أهم هذه الحروف لأنه قد تسمى قصيدة كاملة عليه فنقول ميمية أو دالية مثل لامية العرب وهي أشهر قصائد الشنفرى. والقافية نوعان:

القافية المقيدة: وهي ما يكون حرف الروي فيها ساكن .

وأمثلة ذلك في شعر خداش كثيرة اخترت منها :

أغَركَ أن كانت لأهلكَ صَبةٌ نماَ الكبشُ فيهَا صُوفهُ وَ رخَائلهْ

أبَحناَ لهُ مَا بينَ بس ورَهْوةُ مشَى الكبشُ مُعبرًا به ورَواغلُهْ [2]

حرف الروي في هذه الأبيات هو(الهاء) الساكنة .

القافية المطلقة : وهي ما يكون حرف الروي فيها متحرك .

وقد قال فيها خداش :

صَبَا قلْبي وكَلفَني كُنودَا وعَاودَ داءُهُ منهَا التَليدَا

ولمْ يكُ حبُهَا عرَضًا ولكنْ تَعلقَ داءُهُ منهَا وليدَا

ليالَي إذْ تَريع بَطْنُ ضيم فاكْنافَ الوَضيحَة فالبُرودَا[3]

[1] عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987م، ص164-165

[2] الديوان، ص90 .

[3] المصدر نفسه، ص39 – 40 .

حرف الروي في هذه الأبيات هو(الدال) المفتوحة .

القافية هي فاصلة موسيقية تربط بين لسان الشاعر وأذن وإحساس المستمع، لأنها تقوم مقام نبرة الصوت الممدود بعد إتمام الدلالة والقول لتحدث إيقاعا منتظما تستعذبه الأذن وتتغنى به، وبهذا تختلف فعاليتها باختلاف مناسبة القصيدة، وهذا باختلاف الصوت المناسب لإحداث الإيقاع المراد لوصف الحالة الشعورية المناسبة .

المطلب 2 : الموسيقى الداخلية :

تعد المحسنات البديعية بشتى عناصرها من طباق، جناس وتصريع وغيرهم ... أهم ما تحتويه الموسيقى الداخلية وهذه الأخيرة تعتبر وليدة انسجام الحروف والكلمات والعبارات بحيث تختص بمضمون وجوهر النص الأدبي مما يجعلك تحس بمشاعر الكاتب بعد قراءتك لنصه لتتفاعل معه بالحزن أو الفرح ... وهذا ما يميز شخصية الكاتب عن غيره .

أولا : الطباق :

لقد كان لاجتماع المتضادين في كلام العرب وقع يسر لهم التعبير عما يخالج أنفسهم حتى قالوا في أمثالهم أن الأشياء بأضدادها تتضح، فالليل يعرف بالنهار والموت يعرف بالحياة والدنيا بالآخرة ...لذلك استعذبوا في سياقاتهم توظيف اللفظ وضده، ومن أشهر ما سموه فيها الطباق حيث يعرف بأنه الجمع بين أمرين متضادين أو الموافقة بينهما و«الطباق والمطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الجمع بين المعنى وضده في لفظتين، نثرا كان أم شعرا»[1]. والطباق نوعان طباق إيجاب وطباق سلب

[1]يوسف ابو العدوس، البلاغة والاسلوبية، دار الاهلية للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 1999م، ص132 .

وقد وظف خداش النوعين في شعره فاخترت بعض الأمثلة عن ذلك من ديوانه حيث يقول :

إني أتَاني عَنْ ابْني مُعَمر خَبرَ إمَا كذبتُ وإما غيرَ مَكْذوُب[1]

يحمل البيت معنى عن خبر طرق سمع الشاعر وهز قلبه وزعزع كيانه ما دفعه إلى إخبار الناس بفحواه، لكن لا يتأتى السياق بأن تسبقه الإشارة للتشويق، فاستخدم لفظين متضادين تجاورا في هذا البيت إعدادا للسامع حتى يتقبل الخبر ويكون من احتمال موقفين (إما كذبت وإما غير مكذوب) وهنا وقع سياق التشويق الذي يضع السامع في معرفة ريب الشاعر وأحاسيسه قبل معرفة فحوى الخبر في حد ذاته، وأيضا حين قال :

فقدْ لَحقَ الأسَافلُ بالأعَالي ومَاجَ اللؤُمُ واختَلطَ النجَارُ [2]

الطباق هنا في (الأسافل /الأعالي) وهو طباق إيجاب، فالشاعر هنا يستنكر ويتعجب كيف أن أسافل الناس والأدنون منهم نسويهم بمن هم أعلى، وفي الشطر الثاني من البيت يزيد ذلك التعجب، فقد كثر اللؤم واختلطت الأمور فلا ريب إذن أن نجد الأسافل يدعون أنهم من أعالي الناس والأمر نفسه في قوله :

تَدعُو أواخرُهم أولاَهُم جَزعًا والخَيْلُ مُكَرهَةٌ والمَوتُ مَحذُورُ[3]

نظرا لجمال الطباق في مكانه وما يقوم به من إبراز للمعنى وتوضيحه وتأكيده ليدل على افتخار الشاعر بقومه وبأبائه، وأنهم قد أبلوا في حروبهم البلاء الحسن، حيث أدى الطباق هنا وظيفة وغرض الافتخار، مما يوحي أن استخدام الطباق في هذا الموقف كان صحيحا .

[1] الديوان، ص 61

[2] المصدر نفسه، ص 66

[3] المصدر نفسه، ص 71

من خلال ما تقدم من نماذج يظهر الدور الذي يلعبه الطباق في السياق، فما بين إحداث نفسي وإيقاع موسيقي وإعلان عن الأحاسيس والمواقف، يمنحنا هذا المحسن البديعي المعنوي إجمالا من التوضيح والتأثير والتشويق، فيعمل عملا نفسيا حين يضع في يد الشاعر وسيلة للتواصل الخطابي مع القارئ حين يخلق مساحة للتحاور غير مباشر فيه كما أنه يمكن اعتبار الطباق لعبة نفسية يلعبها الشاعر مع مشجعيه والمستمعين إلى أقواله ويمكن تفسير هذه اللعبة التي يمثلها الطباق كنوع من أنواع الإثارة النفسية والتشويق كمن يسأل ويبقى في انتظار لوصول الإجابة عن سؤاله، وهذا ما يحدث وقعا معنويا ونغما جميلا داخل القصيدة، ترسمه رغبة الشاعر وأحاسيسه المرهفة، أي أن الطباق لعبة نفسية أتقنها خداش وهذا لأهمية دفاعه عن الموضوع المطروح، فكل كلمتين متضادتين تخلقان مجالا للحوار بين المستمع والنص الشعري .

ثانيا : التصريع :

وهو أحد أبرز الأساليب الشعرية التي تطرب أذن السامع حيث يقصد به " ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته " [1] ما يعني أن تكون قافية الصدر والعجز نفسها، وهو أحد المحسنات البديعية التي تتعلق بالشعر دون النثر ويكون في مطلع القصيدة يقودنا إلى الكشف عن جماليات هذا المحسن ومعلوم أن مطلع اي قصيدة هو أول ما يقرع السمع، فكان لازما على الشاعر أن يحسن المطلع وهذا ما رأيناه في المعلقات التي كانت مطالعها أية في الجمال، فإذا أحسن الشاعر بداياته جاءت القصيدة كلها بديعة لهذا قيل: "أحسنوا معاشر الشعراء بداياكم فانه أول ما يقرع السمع" لهذا حين يأتي التصريع محكما في مطلع القصيدة يترك أثرا بليغا في أذن المتلقي لا ينساه طوال قراءته أو استماعه للأبيات، كما جاء في قول خداش هنا :

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط5، 1981م، ص173 .

صبَا قَلبي وكَلفَني كنُودَا وعَاودَ داءُهُ منهَا التَليدَا[1]

وقوله أيضا :

دَهمَناهُم بأَرعنَ مُكفَهر فَظلَ لنَا بعَقْوَتهُم زَئيرُ [2]

نلاحظ أن التصريع وقع في لفظتين (كنودا . تليدا) و(مكفهر . زئير) لأن المتلقي يجد لذة وهو يقرأ أبيات تحتوي على التصريع خاصة إن كان في بدايتها يجبره على اكمال القصيدة ويجذبه إليها جذبا، فالتصريع فاعل جمالي يتخذه الشاعر وسيلة لتزيين شعره، فمن لم يصرع شعره كان كمتسول الداخل من غير باب .

ثالثا : الجناس :

مشتق من لفظة المجانسة وهو محسن بديعي إذ يعني تقارب لفظتين في الكتابة واختلافهما في المعنى أي«تشابه الكلمتين في اللفظ»[3]، فهو مصطلح يتصل باللفظ وكيفية نطقه صوتا، فتبدأ عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية والسياقية، إن للجناس خصائص أسلوبية صوتية متميزة تجمع بين التكرار وبين تحقيق التشابه الصوتي واختلاف المعنى وكأنها دوال متشابهة لمدلولات مختلفة وهو نوعان جناس تام وجناس ناقص ومن أمثلة ذلك في الشعر الذي بين أيدينا قول خداش :

وانَ كلاَبًا لاَ كلابُ لأهْلهَا وقدْ جَعلتْ كَعْبٌ تكوُنُ يَحَابرَ[4]

يتضح الجناس بين الكلمتين " كلابا وكلاب" فنطق الكلمتين في بيت واحد إلا أن مدلولهما مختلف فالأولى يقصد بها جمع حيوان الكلب والثانية يقصد بها قبيلة كلاب من

[1] الديوان، ص39

[2] الديوان، ص65

[3] يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، شرح : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983م، ص429 .

[4] الديوان، ص 72

بني عامر بن صعصعة وهي إحدى أشهر القبائل العربية فللجناس هنا قدرة عالية على إحداث موسيقى مميزة داخل البيت، ولهذا اكتسب الجناس قوة بين الصوت والدلالة وفي مثال أخر حين أنشد هذه الأبيات:

فقَالوُا يالعَمُرُو لا تَفرُوا فقُلنَا لاَ فرَارَ ولا صُدودَا

فعَارَكْنَا الكُمَاةَ وعَارَكُوناَ عراكَ النُمر واجَهتْ الاسُودَا

عَلوْناهُم بكُل اَفلَ عَضْب تَخَالُ جَماءَ وقْعَتهُ خُدودَا[1]

يظهر الجناس بين الكلمتين "صدودا وخدودا" الأولى معناها الصد والإيقاف والثانية معناها الخد وهو عضو في جسم الإنسان حيث أعطى الجناس جرسا موسيقيا تطرب له الأذان وتسعد به النفوس، مما يميز شعر خداش ويزيده جمالا وإيضاحا فيسهل علينا حفظه وتداوله، فهو يعمل على تقريب مدلولي اللفظ والصورة من جهة وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ من جهة أخرى، ولقد كشفت الدراسات الأسلوبية عن أهمية مستوى المحسن البديعي من الناحية الصوتية وتحديد بنيته الأسلوبية .

ومنه يمكننا القول أن المستوى الصوتي يعبر به خداش عن صدق التجربة الشعرية والشعورية التي تقوده للإبداع الفني في شعره، فهو يكتب ما بداخله ويصور كل مظاهر الحياة التي يعيشها، وهذا باستخدام المحسنات البديعية وحسن اختياره البحر المناسب مما يضفي على شعره رونقا وجمالا، يجعله يحظى بدرجة مرموقة في مصاف أجمل الأشعار في الأدب الجاهلي .

المبحث الثاني : تجليات المستوى التركيبي .

تنطوي كلمة المستوى التركيبي على معنى تركيب النص والجملة بل وتتعدى ذلك إلى تركيب الكلمة واختيارها في حد ذاتها وهو من أبرز مستويات التحليل الأسلوبي «الذي

[1] الديوان، ص 44

يتجسد به المحتوى العاطفي للغة، ويتمثل في الأشكال اللغوية الخارجة عن الصيغة العادية حيث يمثل هذا الخروج أو الانحراف الطاقة الايجابية للأسلوب»[1]، مما يحقق تناغم وانسجام النص الأدبي أي ما يطبع الشعر العربي والجاهلي على الخصوص بلمسة سحرية تركيبية جذابة وألفاظ قوية الإيحاء وتراكيب غزيرة المعنى وفي هذا يقول شوقي ضيف: «أن اللغة العربية كانت في الأصل لغة شعرية، وكان لذلك أثر واسع في أن عناصر الجملة فيها لا تلتزم بترتيب معين، إذ الأساس ترتيبها حسب أنغام البيت لا حسب نظامها النحوي»[2]، فيحدث التقديم والتأخير مما يضفي عليها رونقا وجمالا، ومن هنا يمكن القول: «أن الجملة تنقسم حسب الاعتبارات التي ننظر بها إليها، وبحسب الاسم والفعل إلى اسمية وفعلية وبحسب النفي والإثبات إلى مثبة أو منفية وبحسب الخبر أو الإنشاء إلى خبرية وإنشائية وهكذا»[3] وسأحاول في هذه الدراسة استخراج أبرز وجوه هذه التراكيب التي اعتمد عليها خداش في نظمه لديوانه الشعري. وأيضا إبراز «العلاقة الداخلية بين الوحدات اللغوية، والطرق التي تتألف بها الجمل»[4]حيث يلمع في شعره تنويعه في الأساليب من خبرية إلى إنشائية ومزجه بين الجمل الاسمية والفعلية، فضلا عن الأساليب المعروفة قام خداش بتوظيف أسلوب التكرار بأنواعه (تكرار الأصوات، الألفاظ والتراكيب) .ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما يلي :

المطلب 1: الأساليب وأنواع الجمل :

أ / - الأساليب :

توالت الأساليب الخبرية والإنشائية تباعا في شعر خداش فهو يستعمل الأسلوب الخبري حينا ثم يعرج على الأسلوب الإنشائي في أحايين أخرى، وبين هذا وذاك يطعم

[1] عهود عبد الواحد، الصور المدنية (دراسة بلاغية وأسلوبية)، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، ط1، 1990، ص15

[2] شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف، القاهرة، ط4، ص 246 .

[3] فاضل صلاح السمراتي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، ط1، 2002م، ص 157 .

[4] نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث العلمي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001م، ص 149 .

شعره بأسلوب التكرار، وكما تنوعت أساليبه تعددت أنواع الجمل فيه من اسمية وفعلية تفنن في إبداعها خداش وترك لنا ميراثا شعريا غنيا بالتنوع والتميز .

-**الأسلوب الخبري:** وهو كلام يستعمله الشعراء للتعبير أو للإخبار عن شيء مجهول وغير معروف بحيث يكون هذا القول يحتمل الصدق أو الكذب، حيث يتجزأ هذا الأسلوب في جملة خبرية مؤكدة وجملة شرطية .

يظهر هذان النوعان عند خداش في الكثير من المواضع، وقد اخترت قوله :

بأنَا يَومَ شَمْظَة قدْ أقَمْنَا عَمودَ المَجْد أنَ لهُ عَمودَا [1]

تتضح الجملة الخبيرة المؤكدة في هذا البيت (انا يوم شمظة) بأداة النصب والتوكيد (أن) حيث اخبرنا خداش وأكد لنا انه وقومه قد أقاموا عمود المجد في احد أيام الفجار التي دارت بينهم وبين قريش .

وأيضا قوله :

فَلَمْ أَرَ مثْلَهم هُزمُوا وفَلُوا ولاَ كَذَيادنَا غُبقًا مَذُودَا [2]

تظهر الجملة الخبرية المؤكدة في هذا البيت (لم أر مثلهم هزموا وفلوا) بأداة الجزم (لم) حيث يخبرنا هنا خداش بل ويجزم بأنه لم ير قط أعداءه يهزمون بهذه الطريقة ويفرون مذلولين.

أما الجملة الشرطية فهي متواجدة وبكثرة في شعر خداش استعملها ليدعم شعره بالتنويع اللفظي والمعنوي، مما يبرز جمال قدرته التعبيرية ومن أمثلة ذلك قوله :

إذَا هَبطَا أَرْضًا حَزُونًا رَأيْتُهَا بجَانبه إلاَ قَليلاَ تَواتُرهْ [3]

وقوله أيضا :

---

[1] الديوان، ص 44

[2] المصدر نفسه، ص 45

[3] المصدر نفسه، ص 51

إذَا مقْنَبٌ منْكُم تَقيْلَ قبْلَةً ثَنَى رجْلَهُ الأُخرَى عَليَ فَشَبَبَا[1]

ومنه فإن الجملة الشرطية في شعر خداش تتميز بكونها أداة من أدوات التعبير اللساني التي يطعم بها الشاعر العربي قوله فينتج لنا قصيدا متكامل المعنى والمبنى متميز التعبير .

-الأسلوب الإنشائي :

وهو أسلوب كلامي يشترط فيه أن لا يحتمل الصدق ولا الكذب يظهر في: الأمر، النداء والاستفهام وغيرهم ... لكل منها دور في تحقيق ترابط النص الأدبي، حيث يعبر فيه الشاعر عن كل ما يشاهده في أيامه .

من خلال دراستي للشعر الذي بين أيدينا حاولت أن استخرج ابرز الأساليب الإنشائية التي اعتمدها خداش ووظفها فيه اهمها :

الاستفهام : وهو أحد أبرز وأهم ما اعتمده خداش في الأسلوب الإنشائي حيث نوع فيه ومن أمثلته قوله :

أَلَمْ يبْلغْكَ بالعَبلَاء أنَا ضَربْنا خنْدفًا حتَى استَقادُوا[2]

ومَطْويَةٌ طَيَ القَليب حَبسْتهَا لذي حَاجَة لمْ أع أينَ مَصدَرهُ[3]

مَتَى تَجْعَليني فَوْقَ نَعْشك تَعَلَمي أيُغْني مَكَاني أبْكُري وأفَائلي[4]

يتجلى الاستفهام في الجمل التالية: ألم يبلغك –أين مصادره – متى تجعليني–أيغني حيث تستدعي الممارسة الشعرية أن يتساءل الشاعر عن أمور قد تكون مبهمة أو واضحة لديها غرض فني وجمالي .

---

[1] المصدر نفسه، ص 59

[2] الديوان، ص 63

[3] المصدر نفسه، ص 71

[4] المصدر نفسه، ص 90

الأمر: وظفه خداش في العديد من المواضع في شعره «وهو طلب حصول الفعل من المخاطب قد يكون ذا معنى حقيقي أو ذا أمر بلاغي»[1]، وأمثلته كثيرة ومتنوعة منها:

أبْلغ أبَا كَنف أمَا عَرضْت به والأبْجَرينَ ووهَبنَا وابنَ مَنظُور[2]

وكذا قوله :

فان سَمعْتمُ بجَيْش سَالك سَرَفَا أو بَطنَ مَر فَاخْفُوا الجَرسَ واكْتتَمُوا

ثم ارْجعُوا فَأكبُوا في بُيوتكُم كمَا أكَبَ علَى ذي بَطْنه الهَرمُ[3]

يظهر أسلوب الأمر في شعر خداش من خلال الكلمات التالية: أبلغ – فاخفوا – اكتتموا ارجعوا – فأكبوا، ومما جاءت به هذه الأبيات فان فائدة أسلوب الأمر تكمن في مجموعة من الأغراض متمثلة إما في النصح والإرشاد، التهديد، التخيير، التعجيز أو الاهانة جل هذه الأغراض تخدم الشاعر العربي في تصويره لنا ما يحس به وما يحاول وصفه .

تميز شعر خداش بقدرته على توظيف مجموعة من الأساليب الأدبية والتي هي «طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير»[4]، إذ نوع فيها من خبر وإنشاء، تبين هذه الأساليب بساطة الشعر مما لا يعني سذاجته، بل تكون له معاني ولغة واضحة تدل على ارتقاء خداش ومهارته في صناعة الشعر وحسن اختيار معانيه في أحسن حلة .

[1] انظر: يوسف ابو العدوس، البلاغة و الأسلوبية، ص 58

[2] الديوان، ص 75

[3] المصدر نفسه، ص 94

[4] أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة، ط6، 1664م، ص 44 .

ب –أنواع الجمل :

تتكون الجملة من مجموعة كلمات يرتبها الشاعر وينظمها حسب مقتضى حاجته لها في وصفه لما بداخله وهي نوعان جملة اسمية وجملة فعلية ومن امثلة ذلك في شعر خداش نجد :

الجملة الاسمية : وهي كل جملة ابتدأت باسم تظهر في قوله :

إني منَ النَفْر المُحَمَر أَعْيُنُهُم أَهُلُ السَوَام وأَهْلُ الصَخْر واللُوَب [1]

وقوله أيضا :

وان وَرْقَاءَ قَدْ أَرْدَى أبَا كَنَف وابْنَيْ ايَاس وعَمْرًا وابنَ أيُوب

وان عُثْمَانَ قدْ ارْدَى ثَمَانيَةً منْكُمْ وانْتُمْ عَلىَ خُبْر وتَجْريب[2]

تتجلى الجملة الاسمية في: إني من النفر المحمر أعينهم – إن ورقاء قد أردى أبا كنف وان عثمان قد أردى ثمانية، استعمل خداش الجمل الاسمية في جميع قصائده مما يسمح له بان يعبر بكل سلاسة عما يجول في ذاته .

الجملة الفعلية : وهي أي جملة تستهل بفعل ماض كان أو مضارع أو أمر تظهر الجملة الفعلية في قوله :

ولَمْ يَكُ حُبُهَا عَرَضًا ولَكنْ تَعَلقَ دَاءُهُ منْهَا وليدَا

ذَريني اصْطَبحْ كَأْسًا وأُودي مَعَ الفتْيَان إذْ صَحبُوا ثَمُودَا[3]

[1] الديوان، ص 59

[2] المصدر نفسه، ص 60

[3] المصدر نفسه، ص 40

تظهر الجمل الفعلية في: تعلق داءه منها وليدا– ذريني اصطبح كاسا واودي، حيث وظف خداش هذا النوع من الجمل في كافة شعره لأنها تعبر عن الحركة والفعل مما ساهم في حسن تصويره لمشاهد قام بها هو وقومه أو حتى غيرهم تقود هذه الحركة مخيلة القارئ أن يتخيل تلك الأحداث او تلك الفترة من الزمن التي عاشها خداش .

مطلب 2: التكرار :

يعتبر التكرار من مميزات الشعر العربي لما يحتويه من أغراض منها التوكيد على الشيء، التلذذ بالذكر المكرر أو إظهار الإحساس من توجع أو تحسر أو التشويق ... وهو ثلاثة أنواع : تكرار الحرف، تكرار الكلمة وتكرار الجملة وقد وظف خداش هذه الأنواع كالأتي :

تكرار الحرف: شعر خداش غني بتكراره للحروف والأصوات في مختلف قصائده بحيث تتناغم وتتجانس هذه الحروف لتشكل جملة من التعابير الصادقة والنابعة من نفسية الشاعر فتجسد لوحة فسيفسائية متكاملة ومترابطة الدلالة والتركيب .ومن أمثلة ما جاء في شعر خداش قوله :

واني اذَا ابْنَ العَم اصْبَحَ غَارمًا ولَوْ نَالَ مني ظَنَةً لاَ أُهَاجِرُهْ

يَكُونُ مَكَانَ البر مني ودُونَهُ وأَجْعَلُ مَالي مَالَهُ وأؤَامِرُهْ[1]

وأيضا قوله :

تَلَقُوا فَوَارِسَ لاَ مَيْلاً ولاَ عُزَلاَ ولاَ هَلاَبِيجَ رَوَاثِينَ في الدُور[2]

[1] الديوان، ص 49

[2] المصدر نفسه، ص 75

نلاحظ من هذه الأبيات تكرار كل من الحرف(الميم، الألف، اللام والنون ...) بكثرة لما تحمله هذه الحروف من صفات تتراوح بين الشدة والتوسط لتضفي تناغم صوتي وبنائي في تركيب الجملة .

تكرار الكلمة: برز في شعر خداش تكراره المستمر للكلمات لان الكلمة تتمتع بإيقاع له تأثير في الخطاب الشعري يعرف بالجرس اللفظي، فان كان تكرار الحروف في اللفظة الواحدة يكسبها جرسا موسيقيا فان تكرار اللفظة في التركيب اللغوي يمنحها امتداد في التناغم والانفعال من خلال التكرار المستمر للكلمة الواحدة في أكثر من موضع، ومن أمثلة ذلك قوله :

يُخَالسُ الخَيْلَ طَعْنًا وَهي مُحَضَرَةٌكَأَنَمَا سَاعَدَاهُ سَاعدَا ذَيب[1]

دَعُوا جَانبَا اَنا سَنُنْزلُ جَانبًا لَكُمْ وَاسعًا بَيْنَ اليَمَامَة وَاَلْقَهْر[2]

فيَا أَخَوَيْنَا منْ أَبينَا وَأُمنَا إلَيْكُمْ إلَيْكُمْ لَا سَبيلَ إلَى جَسْر[3]

يظهر تكرار الكلمة في هذه البيات من خلال الألفاظ التالية: (ساعد– جانبا – إليكم) حيث نلاحظ أن خداش قد وظف هذا النوع من التكرار بصفة متجانسة، يلجأ فيها إلى توثيق صلة المعنى العام للسياق الذي ترد فيه هذه الألفاظ حيث تستمد القصيدة حيويتها الإيقاعية والفنية منه .

تكرار الجملة : لم يقتصر التكرار على الحروف والكلمات بل تعدى ذلك إلى تكرار الجمل فيبنى عليه تركيب النص فضلا عن أهميته في تنغيم العبارات والأبيات .

لم يخل شعر خداش من تكرار الكلمات التي تطرب السمع بالإضافة إلى دورها الوظيفي المتمثل في تأكيد موقف ما أو تدعيم فكرة أساسية عمد عليها .

---

[1] الديوان، ص 60

[2] المصدر نفسه ص 78

[3] المصدر نفسه، ص 81

ومن أمثلة ذلك قوله :

أَلَمْ يَبْلُغْكُم انَا جَدَعْنَا لَدَى العَبْلاَء خنْدفَ بالقيَاد

ضَرَبْنَاهُمْ بيَطْن عُكَاظَ حتَى تَوَلُوا ضَالعينَ منَ النَجَاد

أَلَمْ يَبْلُغكَ مَا لاَقَتْ قُرَيْشٌ وَحَيُ بني كنَانَةَ إذْ أُثرُوا[1]

وقوله أيضا :

وكَانتْ قُرَيْشٌ يَفْلقُ الصَخْرَ حَدُهاَ إذَا اوهَنَ النَاَسَ الجُدُودَ العَواثرَ

وكَانتْ قُرَيْشٌ لَوْ ظَهَرْنَا عَلَيْهُم شفَاءً لمَا في الصَدْر والبُغْضُ ظاَهرُ[2]

كرر خداش في الأبيات السابقة الجمل التالية: (الم يبلغك – كانت قريش) مما مهد له أن أدى المعنى الذي يريد توضيحه بصورة جلية وعمق واسع، حيث تكون نتيجة هذا التكرار حالة من الارتياح النفسي مما يؤثر على الشاعر والمتلقي على حد سواء .

ومن هنا يمكننا استخلاص أن المستوى التركيبي يعتبر ثاني أبرز مستوى في التحليل الأسلوبي، لأنه يهتم باستخلاص القواعد التي تتحكم في إنتاج العمل والنصوص بحيث تتحكم هذه القواعد في اتساق وترابط النصوص الأدبية، فيخرج لنا العمل الأدبي في قالب متناسق الألفاظ والأفكار .

[1] المصدر نفسه، ص 64-65

[2] الديوان، ص 70

الفصل الثالث

الفصل الثالث : تجليات المستوى الدلالي ودراسة فنية .

الفصل الثالث : تجليات المستوى الدلالي ودراسة فنية .

المبحث الأول : تجليات المستوى الدلالي .

المطلب1 : الصورة الشعرية .

. التشبيه .

. الاستعارة (الاستعارة المكنية. الاستعارة التصريحية).

. الكناية .

المطلب 2 : الحقول الدلالية .

. حقل الطبيعة .

. حقل الحرب .

. حقل الأخلاق .

المبحث الثاني : دراسة فنية (الأغراض الشعرية) .

مطلب 1 : غرض الوصف .

مطلب 2 : غرض الفخر .

مطلب 3 : غرض الهجاء .

الفصل الثالث: تجليات المستوى الدلالي والدراسة فنية .

المبحث الأول: تجليات المستوى الدلالي .

وهو أحد أبرز ما يعتمد عليه التحليل الأسلوبي في دراسته لمكونات النص الأدبي لأن «الدلاليات تدرس المعاني التي يمكن أن يعبر عنها من خلال البنى الصوتية والتركيبية»[1]، حيث يعتمد هو الآخر على عناصر تشكله وفيه يقول أبو الحسن علي بن عيسى الرماني أن: «أصل البلاغة الطبع، ولها مع ذلك ألا تتعين عليها وتوصل للقوة فيها وتكون ميزانا لها، وفاصلة بينها وبين غيرها، وهي ثمانية أضرب: الإيجاز الاستعارة، التشبيه، البيان، النظم، التصرف، المشاكلة والمثل»[2]، لتبرز صورة التركيب الدلالي المعنوي واللفظي للشعر العربي ومن أهم هذه العناصر نجد :

مطلب1: الصورة الشعرية :

إن اللمسات البيانية التي يمكن لنا أن نجدها في الصورة الشعرية عند شاعرنا، إذ يعتبرها كثير من الدارسين بمثابة تفاعل أفكار وحواس الشاعر مع المستمع، أي أنها«تنقل لنا انفعال الشاعر والفكرة التي أثارته لهذا الانفعال ولا تنقل لنا خياله فحسب حيث يعتبرها وسيلة من وسائله، يستخدمها ليضمن انتقال مشاعره إلينا وتأثيرها فينا»[3]، حيث تمثل قدرة الشاعر على استفادته من كل ما يتاح له من سبل للتعبير باستعمال لغة شعرية تكمن «أهمية هذه الصور الفنية في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعا من الانتباه لمعنى تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلك تتفاعل مع ذلك وتتأثر به»[4]، تتكئ هذه الصور الفنية على عدة عناصر أهمها :

---

[1] بيار جيرو، علم الدلالة، ترجمة : منذر عياشي، دار الأطلس، دمشق، ط1 ن 1988م، ص 72 .

[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ج 2، 2010م

[3] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط8، 1983، ص 103 .

[4] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، مركز الثقافي العربي، ط3، 1992م، ص 363 .

أ – التشبيه :

وهو أحد العناصر المميزة في المستوي الدلالي، حيث يعرف بأنه «إلحاق أمر بأمر أخر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التشبيه»[1]، إذ أنه يعتبر نوع من أنواع البيان وفن من فنون البلاغة العربية يقصد به في اللغة «الشبه والتشبيه، المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء ماثله، والمشابهان من الأمور المشاكلات، والمتشابهات المتماثلات ونشبه فلان بكذا، والتشبيه التمثيل»[2]، يتركز التشبيه على أركان أربعة هي: المشبه المشبه به، أداة التشبيه ووجه الشبه، ومن أمثلة ما جاء في شعر خداش قوله :

يَصيحُون مثْلَ صيَاح النُسُو ر من أَسَل وَارد صَادر[3]

أركانه :

المشبه	المشبه به	أداة التشبيه	وجه الشبه
هم	النسور	مثل	صياح النسور

وهذا تشبيه تام حيث شبه خداش هنا أعداءه في الحرب بالنسور التي لها صياح تعرف به ويخرج منها عند الجوع أو عند اجتماعها على الفريسة، حيث مثل ذلك بحركة أغصان نبات الأسل الشوكي عندما تداعبه الرياح جيئة وذهابا، هذا ما ألجأ خداش إلى عقد هذه المشابهة والتفنن فيها لأن الصورة التي يرسمها أعداءه وصياحهم وتساقطهم في المعركة أثار في نفس خداش نوعا من الإحساس بالشجاعة فتبادرت إلى ذهنه صورة صياح النسور الجائعة فأبدع في تصويرها، وفي مثال أخر يهجوهم فيه قائلا:

ثُمَ أرْجعُوا فَاكبُوا في بُيُوتكُم كَمَا أكَبَ علَى ذي بَطْنه الهَرمُ[4]

[1]يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص 98

[2]ابن منظور، لسان العرب، ص 393 .

[3]الديوان، ص 82

[4]المصدر نفسه، ص 94

أركانه :

المشبه	المشبه به	أداة التشبيه	وجه الشبه
أعداء خداش	الهرم	كما	الكب مما يدل على الكبر في السن

في هذا البيت جسد خداش مجموعة من المشاعر في تشبيهه، حيث استهزأ وهجا خصومه بها فشبه دعوته لخصومه بالاستسلام ووضع السلاح بالشيوخ الذين أصابهم الهرم حيث لا يستطيعون القتال ولا المقاومة، وبهذا يكون توظيف خداش للتشبيهات توضيحه صورة حثه لخصومه على الاستسلام وتقريبها إلى الأذهان، مما يساهم في جعل المستمع يرسم فكرة عن ما يصفه ويدعو له، ومنه فان أهمية هذه التشبيهات تكمن في تقوية المعنى وإيصاله بالصورة المقصودة .

مما سبق من أمثلة نستطيع القول أن التشبيه هو فن إبداعي عظيم من فنون البيان وأكثرها شيوعا حيث يزخر الشعر الجاهلي عامة بآلاف صور التشبيه على اختلاف أنواعه حيث استعمله شاعرنا في إثباته وتوضيحه صفات ما أراد وصفه أو في مبالغته لهذا الإثبات، حيث يلجأ إلى المماثلة والمشابهة بين صور الأشياء الواضحة الجلية في الذهن عند إدراك المتلقي وما يريد التعبير عنه، إذ يعتبر البلاغيون والنقاد والدارسون لعلم الأسلوبية التشبيه بأنه احد أبلغ وأجمل الأساليب البيانية وأكثرها روعة وجمالا لأنه يهدف إلى إخراج الخفي إلى الجلي وتقريبه البعيد مما يزيد المعنى قوة ووضوحا، فالتشبيه فن شاسع المجال فسيح الاستعمال ووعر المسالك مبهم المدارك دقيق المسار غزير الفوائد غني النتائج يثري النص ويزيده جمالا ورونقا .

ب– الاستعارة: إن من جماليات الخطاب الشعري الاستعارة التي احتلت مكانة كبيرة في حقل الدراسات البلاغية خاصة إذا نظرنا إلى الدور الذي تؤديه في تشكيل الخطابات وتحقيق جمالياتها، فهي جوهر البلاغة وسر وجودها، وقد وصل بها الحال إلى الدراسات الأسلوبية، فالاستعارة من البلاغة إلى الأسلوبية موجودة وتحقق رؤى وتشكيلات داخل

نسيج النص الأدبي، وفيها يقول ابن رشيق: «الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع وليست في حلي الشهر أعجب منها وهي محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها»[1]، لأنها تتموقع على تلك الدرجة وتنهض على ذلك القدر من الأهمية التي أكدت بها فاعلية الجدل التصويري، إذ لقيت أهمية بالغة من قبل الدارسين لأنها تعطي للغة فرصة للخروج عن النمط المألوف في تأدية التراكيب اللفظية العادية،فتكون بذلك الاستعارة العنصر الأساسي للفن التعبيري، مما ينتج عدولا خاصا يعمق من بعد الدلالة وأثرها، حيث تكون صورة خيالية يتذوقها المتلقي ويتلذذها، وهي نوعان:

الاستعارة المكنية: وهي تشبيه بليغ حذف منه المشبه به مع الإبقاء على دلالة عليه ومن أمثلة ذلك في شعر خداش قوله :

بأنا يوم شمظة قد أقمنا عمود المجد أن له عمودا [2]

فمعلوم أن المجد ليس شيئا ماديا حتى يكون له عمود فخداش هنا استعار عمود البيت أو الخيمة فحذف المشبه به وترك قرينة دالة عليه (العمود) على سبيل الاستعارة المكنية قوى بها شاعرنا المعنى من وراء تماسك البيت أو الخيمة فجسد المجد والخلود لقومه في هذه الصورة المكنونة التي زعزعت قلبه وفؤاده فرسم لنا ما شعر به من افتخار وشموخ في صورة البيت المتماسك والموحد الذي يصمد في وجه الرياح والأعداء مع توضيح هذا المعنى للمتلقي ومن منبر أخر قوله أيضا :

إذَا مَا الثُريَا أشْرفَتْ في قتَامهَا فُويْقَ رُؤوس النَاس كَالرُفْقَة السُفْر [3]

في هذا البيت استعمل خداش الاستعارة فشبه الثريا بالإنسان الذي يشرف فحذف المشبه به (الإنسان) وترك قرينة لفظية تدل عليه (صفة الإشراف) على سبيل الاستعارة المكنية حيث أدت هذه الصورة منها المعنى المطلوب في أوجز وأدق وصف إذ شخص

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ص 268 . 269 .

[2] الديوان، ص 44

[3] المصدر نفسه، ص 46

لنا الثريا في صورة إنسان صاحب المكانة المرموقة كشيخ القبيلة أو بطلها أو شاعرها الذي يحمل صفات الشرف والكرامة والشجاعة حيث أردف خداش صفة الإقبال والإشراف على الشيء الذي يلمع مثل النجوم في دهسات الليل فتضيء الظلام فوق رؤوس الناس.

الاستعارة التصريحية: وهي تشبيه بليغ حذف فيه المشبه وصرح بالمشبه به وها هو هنا يصور منظر فناء عدوه والقضاء عليه قائلا :

عَدَدْتُم عَطْفَتين ولَمْ تَعْدُوا وقَائعَ قَدْ تَركْنَكمُ حَصيدَا[1]

يتضح من هذا البيت تشبيه خداش كثرة القتلى في عدوه بالحصيد من الزرع فحذف المشبه (كثرة القتلى) وأبقى على قرينة دالة عليه (تعدوا) مصرحا بالمشبه به (الحصيد) على سبيل الاستعارة التصريحية جسد من خلالها شاعرنا صورة ضحايا المعركة والقتال بتشبيههم بسنابل الزرع المتناثرة بعد الحصاد والذي يعتبر نهاية افتراضية لحياة السنابل حيث أثارت في داخله قوة وشجاعة لمتابعة المعركة دون توقف، وفي قول اخر افتخر بقوة جيش قومه وكثرة عددهم فقال :

دَهَمْناهُم بأَرْعَنَ مُكْفَهر فَظَلَ لنَا بعَقْوتهُم زَئيرُ[2]

أما في هذا البيت فقد شبه جيشهم في كثرة عدده وصموده بجبل شديد السواد فحذف المشبه (الجيش) وابقى على قرينة دالة عليه على سبيل الاستعارة التصريحية، إذ جسد في هذا التعبير قوة وجبروت فرسان قبيلته بأنهم رغم صعوبة مكان المعركة المتمثل في جبل صخري شديد السواد إلا أنهم استطاعوا هزيمة عدوهم وتحقيق النصر .

إن توظيف خداش للاستعارات دليل على عمق رؤيته ومحاولته تجسيد تاريخه لان شعره بمثابة وثيقة مهمة، أرخت انتصارات قومه، فهو يخبرنا عن حالة العرب العقلية والاجتماعية آنذاك، فشرح لنا عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وكل ما كان عندهم،ويفتخر

[1] الديوان، ص 45

[2] المصدر نفسه، ص 65

بجيشهم لأن حياتهم في تلك الفترة كانت عبارة عن ترحال واغارات على القبائل الأخرى بشكل مستمر، ودليل آخر على ديمومة مشاعره وأحاسيسه حيث يحاول في كل مرة بلوغ البيان، فيخرج بالمتلقي عن نطاق الحقيقة البسيطة إلى جو الصورة الخيالية ليتفاعل معه ويشاركه همومه وأفراحه أو في الأقل يجذب انتباهه وبهذا تكون الاستعارة سمة مميزة من الأسلوبية .

جـ . الكناية :

وهي لفظة يذكر معناها الحقيقي بمعنى يلازمه وفيها يقول محمد أحمد قاسم: «وهي مخاطبة ذكاء المتلقي فلا يذكر اللفظ الموضوع للمعنى المقصود، ولكن يلجأ إلى مرادفه ليجعله دليلا عليه»[1]؛ حيث تكون إيحاءً للمعنى وتلميحا له، استعملها خداش في كثير من المواضع لأنها من ألوان البيان التي تبرز المعنى المراد حقيقيا أم مجازيا كان في صورة جميلة ترسخ في الأذهان، عرضها خداش في ديوانه وقد اخترت بعضها لأعرضها في هذه الدراسة، منها قوله:

النَاسُ تَحْتكَ أَقْدَامُ وأَنْتَ لَهُم رَأسٌ فَكَيفَ يُسَوى الرَأْسٌ والقَدَمُ[2]

تعد الكناية من أجمل أساليب البلاغة وأكثرها وقعا وتأثيرا على وعي المتلقي لأنها تتخذ من التلميح مسلكا ووعاءً يتجنب الشاعر فيها التصريح للدلالة عن مكنوناته حيث تظهر الكناية في هذا البيت جلية وواضحة عن الفخر والعظمة لأن خداش يرى قومه ونفسه في أعلى المراتب من الكرم والجود وأنهم محمودون ومحبوبون بين الناس أجمع ويفرضون سطوتهم على الآخرين بمنتهى القوة اذ لمح خداش هنا إلى فخره باختياره لألفاظ

[1] محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع، البيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتابة، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م، ص 241 .

[2] الديوان، ص 97

انتقاها ببراعة أضفت هذه المفردات تناغما جذابا وصف فيه ما يدور في جوفه، وفي قول أخر واصف فيه قوة فرسان قومه قائلا :

لاقَتْهُم منْهُم أُسَادٌ مُلَحَمَةٌ لَيْسُوا بزرَاعَة عُوجُ العَرَاقيب[1]

إن جوهر الكناية يعتمد على تقديم الحقيقة للسامع وفي طياتها برهانا دون تصريح بذلك فلا يدرك كننها إلا السامع المتذوق حاد الذكاء متقد القلب حي الإحساس حيث يتضح من هذا البيت كناية خداش عن قوة وشجاعة فرسان قبيلته لأن الأسد رمز من رموز القوة والبطش خاصة الآساد المذكورة في الملاحم على أساس قوتها الخرافية، اذ أن الكناية تقوي المعنى وتدعمه وترسخه في ذهن السامع وتمكنه من إدراك المعنى وتثبيته، وفي مثال أخر هجا بنو تيم إذ قال :

تَلَقُوا فَوَارسَ لاَ مَيْلاً ولَاعُزَلَا ولَا هَلَابيجَ رَوَاثينَ في الدُور[2]

إن من مميزات الكناية استخدامها إما لإخفاء ما يدور في جوف الشعراء أو إيهاما للسامع أو وسيلة لإيذاء خصمه والإيقاع به دون ترك أثر يمكنه من ملاحقته أو الاقتصاص منه حيث تأتي الكناية في هذا البيت عن غباء وحماقة بني تيم إذ هجاهم خداش ووصفهم بالرواثين في الدور وقد كان الهجاء صورة من صور الحروب في الجاهلية، وقد تستعمل الكناية في أشعار العرب لتنزيه السامع عن بعض الأفكار المؤذية وقبيح الكلام .

مما سبق نستطيع القول أن الكناية فن عربي خالص تميز به خداش في معظم قصائده إذ وظفها من أجل تقوية المعاني المكنونة في صدره وذاته وتقريبها لنا تلميحا لا تصريحا وجعلها أكثر تأثيرا وعمقا حيث اتخذ خداش من الكناية سلاحا يصور به مكنوناته الشعورية التي تعبر عن حالاته ونفسياته، حيث اعتمد على الفخر والمدح

[1] الديوان، ص 60

[2] المصدر نفسه، ص 75

والوصف وكذا الهجاء لتجسيد مختلف أفكاره لأن الكناية لا يستعملها إلا كيس فطن من شعراء العرب صافي القريحة نقي السليقة، عالي الخلق قوي الإحساس جميل النفس وللكناية وقع قوي في الشعر العربي ليس على المستوى البلاغي والأسلوبي فقط بل يتعداه إلى موسيقى الشعر لأنها تسهل ترسيخ المعاني في أذهان السامعين .

مطلب 2: الحقول الدلالية:

إن تعداد الكلمات بأعيانها ومرادفاتها في قصائد الديوان الذي بين أيدينا يصنع وقعا جذابا للانتباه في ترددته وتكراراته، حيث تشكل «مجموعة من المفاهيم تبنى على علائق لسانية مشتركة يمكن لها أن تكون بنية من بنى الظام اللساني كحقل الألوان، المكان والزمان»[1] وغيرهم؛ إذ تكون الألفاظ الشائعة محددة في المجالات التي أراد خداش التعبير فيها عن دلالات معينة مشكلة بذلك مجموعة من الحقول الدلالية عرفها شكري عياد قائلا: «المفردات التي تشيع في قطعة أدبية ما تكون فيما بينها أنواع من العلاقات التي لا تتوقف قيمتها على وظيفة كل كلمة مفردة في جملتها، إحدى هذه العلاقات هي ما يسمى الحقول الدلالية»[2] يمكن استخلاص بعضها في :

حقل الطبيعة: تعد طبيعة الشاعر أول ملهم له لأنها تتسم بتناسق المبنى والعناصر فيها فلجمال الطبيعة الأخاذ إشارة لغوية تجري في مضمار المعنى المجازي الممتد من ثنايا البنية العميقة للطبيعة، حيث احتل حقل الطبيعة حيزا هاما في شعر بن زهير وأمثلة ذلك عديدة وكثيرة اخترت بعضا منها لأنه لا يسعني ذكرها جميعا، حيث لون خداش شعره بتجانس مزيج الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة:

[1] خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة مع النصوص والتطبيقات، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص186.
[2] شكري عياد، مدخل في علم الأسلوب، مكتبة الجيزة، مصر، 1982م، ص 121 .

الطبيعة الحية : تمثل ذكر خداش للطبيعة الحية في احتواء قصائده على اسماء الحيوانات منها :

والحَفثهَا إذَا مَا الكَلْبُ وَلَى بَرَاثنَهُ وجَبْهَتَهُ الجَليدَا [1]

جَلَبْنَا الخَيْلَ سَاهمَةٌ اليْهُم عَوَابسٌ يَدْرُعْنَ النَقْعَ قُودَا[2]

لَهُمْ حَبْقٌ والسُودُ بَيْني وبَيْنَهم يَدَي بكُم والعَادِيَاتُ المُحَصَبَا[3]

كَمْ مُبْغَضَ لي يَنَالُ عَدَاوَتي كَالكَبْش يَحْملُ شَفْرَةً وزُنَادَا[4]

ومُرَقَصَةٌ تَرَى زُفْيَانَ الخَيْل والْهَى بَعْلُهَا عَنْهَا الشُغُولَ[5]

من خلال هذه البيات نجد أن الحيوان استحوذ على اغلب الصور الفنية التي اعتمدها خداش في شعره الذي سعى من خلاله لرسم تاريخه وأيام الفجار، حيث ركز على أهمية مكانة الحيوانات في الحياة الحربية وهذا لتجسيد شجاعة وقوة فرسان قبيلته والفخر بهم .

الطبيعة الصامتة: اتسم شعر خداش بذكره للطبيعة الصامتة المتمثلة في الليل والنجوم وغيرهم لأنها تبدي له راحة نفسية وطمأنينة تثيره لقول الشعر. ومما جاء في شعره بعض الأمثلة قوله :

فَانَ الُوكَ اللَيْلُ مُعْطَى نَصيبَهُ لدَيَ اذَا لَاقَى البَخيلَ مَعَاذرُهْ[6]

علَى مثْل قَيس تُخْمشُ الاَرْضُ ووَجْهُهَا وتُلْقي السَمَاءُ جلْدَهَا بالكَوَاكب[7]

---

[1] الديوان، ص 43

[2] المصدر نفسه، ص 44

[3] المصدر نفسه، ص 58

[4] المصدر نفسه، ص 64

[5] المصدر نفسه، ص 87

[6] المصدر نفسه، ص 50

[7] المصدر نفسه، ص 61

إذَا مَا الثُرَيَا أشْرَفتْ في قتَامهَا فُوَيْقَ رُؤُوس النَاس كالرُفْقَة السُفْر[1]

يظهر لنا من هذه الأبيات أن خداش نوع في توظيفه للطبيعة الصامتة من اجل رسم صورة مثالية لليل والنجوم أو الكواكب فقط ليؤكد لنا فخره واعتزازه ببطولات قومه وتجسيده صورة الإنسان الجاهلي الذي يعيش في صراع دائم من اجل البقاء فرضته عليه البيئة الصحراوية القاسية .

حقل الحرب: نشأ خداش وترعرع وسط حياة اتسمت بكثرة الحروب والغارات والثارات، غرست بداخله جملة من القيم والمبادئ كالكرم والشجاعة والمروءة، التي أصبحت مع مرور الزمن جزءا لا يتجزأ منه عمل خداش على وصف وقائع تلك الحياة والحروب وتصويرها تصويرا دقيقا فمثلا هنا يصف تجهيز الفرسان للحرب قائلا :

ونَلْبسُ يَومَ الرَوْع زُغْفًا مَفَاضَةً مُضَاعَفَةً بيضًا لَهَا حُبَبٌ يَجْري

ونُفْري سَرَابيلَ الكُمَاة عَليْهُم اذَا مَا التقَيْنَا بالمُهَنَدَة البُتْر[2]

وقوله أيضا :

إنَ ورْقَاءً قَدْ أرْدَى أبَا كَنَفَ وابنَيْ إيَاس وعُمْرَا وابْنَ أيُوب

وانَ عثْمَانَ قَدْ أرْدَى ثَمَانيَةً منْكُم وانْتُم عَلى خُبْر وتَجْريب[3]

من هذه الأبيات يمكننا القول أن خداش صور لنا أيام الفجار والحروب التي كانت دائمة في حياتهم من خلال وصفه لتجهيز الفرسان وتعداده القتلى والضحايا من اجل التباهي بصنيعه وصنيع جيش قبيلته وإبراز عظمتهم ومكانتهم بين القبائل على الرغم من

[1] الديوان، ص 46

[2] المصدر نفسه، ص 47

[3] المصدر نفسه، ص 60

أن أعداءهم كانوا ذوي علم بالحرب إلا أنهم قاتلو وانتصروا، فهو في وصفه الدقيق يلجأ إلى ذكر أسماء الأشخاص والأماكن ليضع المتلقي في خضم الأحداث .

حقل الأخلاق: حاول خداش نشر مبادئ قبيلته وكذا مبادئه الشخصية وأخلاقه الحميدة وفخره بأفراد قومه وما يحملونه من قيم مغروسة فيهم منذ الولادة، تتجلى هذه الصفات في قوله :

صلي مثْلَ وصْلي أمْ عَمْرُو فإنْني إذَا خَفَت أخْلاَقُ النَزيع أُدَابرُهْ

واني إذَا ابْنَ العَم أصْبَحَ غَارمًا ولَوْ نَالَ مني ظَنَةً لَا أُهَاجرُهْ

يَكُونُ مَكَانَ البر مني وَدُونَهُ واجْعَلُ مَالي مَالهُ وأُوامرُهْ[1]

يدعو خداش في هذه الأبيات إلى الأخلاق النبيلة ويفخر انه من الذين يصلون الرحم حيث يهجر من يظن انه قد يأتي بسوء، ويبر أهله ويحفظ عهده ويواسيهم بماله . وفي مواضع أخرى يشدد على تلك الأخلاق قائلا :

إني منَ النَفْر المُحْمَر أعْيُنُهمْ أهْلُ السَوَام واهْلُ الصَخر واللُوَب [2]

إني أتَاني عَنْ ابنَيْ مُعَمَر خَبَرً إمَا كَذَبْتُ وإمَا غَيْرَ مَكْذُوب[3]

إنَا لنَعْلَمُ أنَا مَا بَقيَتْ لنَا فينَا السَماحُ وفينَا الجُودُ والكَرمُ[4]

في هذه الأبيات يلح على انه وأهله من الذين يحسنون الظن ويفخر انه لا يتسرع في حكمه على الأمور والآخرين قبل تأكده من ذلك، وما يظهر في البيت الأخير الذي بين أيدينا انه يؤكد على ان الحياة ليست دائمة لذلك فهو يحرص على التحلي بمكارم

[1] الديوان، ص 49

[2] المصدر نفسه، ص 59

[3] المصدر نفسه، ص 61

[4] المصدر نفسه، ص 97

الأخلاق كالجود والكرم والسماح ويفخر انه من قوم لهم أخلاق كريمة وإنهم أسياد القبائل في الصفات الحسنة .

بلغ خداش حدا رائعا من الجودة والإتقان في استخدامه للحقول الدلالية التي أراد من خلالها إثارة الوجدان والهيمنة على مشاعر المتلقي والتأثير فيه وإثارة انفعاله المناسب عن طريق الجو الإيحائي التمثيلي الذي تشيعه الصورة في نفس المتلقي، فالحقول الدلالية تساهم في الكشف عن طبيعة الألفاظ التي تكثر عند الشاعر ودلالاتها، وهذا ما تهدف إليه الأسلوبية لأنها تعتبر الألفاظ ممثلة لجوهر المعنى، واختيار الشاعر لألفاظه يتم في ضوء إدراكه لطبيعتها، وتأثير ذلك على الفكر وكذا في مجاورة الألفاظ لبعضها البعض بهدف تحقيق المعنى المطلوب .

المبحث الثاني: دراسة فنية (الأغراض الشعرية).

اختلفت الأغراض الشعرية في الشعر العربي عبر عصوره المختلفة، وتنوعت وفقا للمواقف التي كانت تحصل، ولطبيعة البيئة المحيطة بالشاعر ووفقا للظروف التي كان يتعرض لها الشاعر في حياته أهم هذه الأغراض المدح، الهجاء، الوصف، الغزل وغيرهم، تنوعت الأغراض التي وظفها خداش في شعره من غزل، بكاء على الإطلال والوصف، الهجاء والفخر، اخترت الأبرز والأكثر تواجدا وهي الوصف، الفخر والهجاء:

مطلب1: الوصف.

وهو غرض ولون من ألوان الشعر حصل على الحيز الأكبر والمساحة الأوفر في شعر خداش، حيث تكاد لا تخلو أي قصيدة منه اخترت بعض الأمثلة لأنه لا يسعني ذكرها كلها منها:

نَلْبَسُ يَومَ الرَوْع زُعْفًا مَفَاضَةٌ مُضَاعَفَةٌ بيضًا لهَا حُبَبٌ يَجْري

وتُفْري سَرابيلَ الكُمَاة عَليْهمُ اذَا مَا الْتقَينَا بالمُهَنَدَة البُتْر[1]

يصف لنا خداش هنا كيف يتجهزون للحرب وكيف يلبسون دروعهم لحماية أنفسهم من هجمات العدو ويصور لنا أيضا شجاعة المقاتلين وتمسكهم بالحياة ومواجهتهم للموت بلا خوف ولا كلل، واستبسالهم في الدفاع عن قبائلهم وأعراضهم أو حين الإغارة على قبائل معادية طلبا للثأر أو الغنيمة أو السبي .

تنوع الوصف في شعر خداش من وصف الحروب والتجهيز لها إلى وصف الحيوانات حيث قال في وصفه لردة فعل الخيول داخل المعركة :

ومُرَقصَةٌ تَرَى زُفْيَانَ خَيْل والْهَى بَعْلُهَا عَنْهَا الشُغُولُ

وتُؤنسُ رَكْضَ مُشَعلَةٌ رعَالٌ وقَدْ جَعَلتْ رجَازَتَها تَميلُ[2]

في البيتين وصف لنا خداش حركة الخيول أثناء المعركة بدقة والهام مما هيأ للمتلقي قراءة مشهد المعركة وكأنه يراها بأم عينيه حيث شبه حركاتها بالرقص من هول المنظر الذي تراه فهي تضرب بحوافرها الأرض حينا وتميل يمينا وشمالا أحيانا أخرى مقدمة ومحجمة فيتعالى صهيلها واصفا إياها أثناء المعركة بالسرعة والشجاعة دائسة بسنابكها رؤوس صناديد الفرسان .

وفي موضع آخر وصف الليل قائلا :

إذَا مَا الثُريَا أشْرَفتْ في قتَامهَا فُوَيْقَ رُؤوس النَاس كالرُفْقَة السُفْر

وأرْدَفتْ الجَوزَاءُ يَبْرُقُ نَظْمهَا كَلَون الصوَار في مَرَاتعه الزُهْر

إذَا أمْسَت الشعْرَى اسْتَقَلَ شُعَاعُهَا عَلَى طَلْسَة من قُر أيَامهَا الغُبْر[3]

[1] الديوان، ص 47

[2] الديوان، ص 87

[3] المصدر نفسه، ص 46

وصف خداش في هذه الأبيات عتمة الليل وكيف تضيئها النجوم كالثريا والجوزاء والشعرى فهذه النجوم تنير الظلام الحالك فوق رؤوس الناس لتمنحهم الشجاعة والإقدام في المعركة .

مطلب2: الفخر.

وهو ثاني أكثر الأغراض استخداما في شعر خداش، وظفه في كثير من القصائد اخترت بعض النماذج منها قوله:

فأبْرَحَ مَا أدامَ اللهُ رَهْطي رخيَ البَال مُنْتَطقًا مَجيدَا

بسهَامة أهَنَتْ لهَا عيَالي وامْنَحُهَا الخَليَةَ والصُعُودَا[1]

يفخر خداش في هاذين البيتين بنضاله المجيد من خلال تسخير قدرته الشعرية للذود عن حمى قبيلته وكذلك تسخير الغالي والنفيس والعيال للدفاع عن حياض القبيلة ومجدها حيث أمسى مطمئن البال هنيا يعيش في ظل السكينة والرخاء .

وفي قول آخر :

أنَا الحَامي الذمَار ولَيْثٌ غَاب أَشَبُ الحَرْبَ أشْعلُهَا وقُودَا

أهُمُ فَلَا أقْصَرُ دُون هَمي أنَالُ الغُنُمَ والبَلَدَ البَعيدَا

بتَجْهيزي المَقَانب كُلَ عَام وغَارَاتي عَلى جَبْليْ زُرُودَا[2]

يفخر الشاعر في هذا المقطع باستعداده الدائم واستنفاره المستميت هو وأقرانه من بني قبيلته لدفع عدوان القبائل الأخرى وممارسة الغزو والفوز بالغنائم، وكذلك قوله في موضع أخر:

ونَحْنُ إذَا مَا الخَيْلُ أدْرَكَ رَكْضُهَا لَبسْنَا لَهَا جلْدَ الأَسَاود والنُمر

[1] الديوان، ص 42

[2] المصدر نفسه، ص 45

لَعُمْري لقَدْ أخْبَثْتُهَا حينَ قُلْتُمَا لنَا العزُ والمَوْلَى فَأسْرَعْتُمَا نَفْري

أبي فَارسُ الضَحْياء عَمْرُو بن عَامر أبَى الذَمَ واخْتَارَ الوَفَاءَ عَلى الغَدْر[1]

افتخر خداش في هذه الأبيات بالجاهزية والتعبئة القتالية وكذا الحيل والأساليب التي يستعملونها في حالة إغادرة الخيل المعتدية عليهم وأنهم حضروا لها لباسا صنع من جلود الأسود والنمور ليفزعها ويردها على أعقابها خائبة مهزومة، ويفتخر أيضا ان أباه رجل وفي العهد والموثق .

مطلب3: الهجاء.

وهو ثالث غرض كان لخداش باع طويل في قرضه، حيث وظفه في الكثير من المرات وذلك عبر هجاءه للأشخاص والقبائل خاصة القبائل المعادية لقبيلته وقد كان لبني تيم نصيب من هجاء خداش. حيث قال فيهم:

أنْتُم مَجَاهيلٌ حَرَامُونَ ثَاويكُمْ وفي الحُرُوب مَقَاليعٌ عَوَاويرُ

لَا تَبْرَحُونَ عَلى أبْوَاب مَلَاَمة تُعَازرُونَ بها مَالًا لَا الفُورُ[2]

هجا خداش بني تيم الادرم حيث وصفهم بقطيع ظباء لا يحسن إلا الفرار وتحريك أذنيه تعبيرا عن الخوف والفزع، كما وصفهم بأنهم يجهلون قواعد الحرب والقتال وأسباب النصر .

وفي مثال آخر يهجو فيه عبد الله بن جدعان قائلا :

أُرَيْصعٌ حَلَافٌ عَلى كُل بَيْعَة وآدَرٌمُسْتلْق بمَكَة أعْفَلُ[3]

[1] الديوان، ص 80

[2] المصدر نفسه، ص 70

[3] المصدر نفسه، ص 89

في هذا البيت تهكم خداش بن زهير من شكل جسم عبد الله بن جدعان وسخر من يديه وفخذيه ووصفه بعديم القيمة والفائدة وأنه لا يحسن إلا الاستلقاء ببطحاء مكة .

وأما هنا فهو يهجو خصمه قائلا :

أغَرَكَ أنْ كَانتْ لأَهْلكَ صَبَةٌ نَمَا الكَبْشُ فيهَا صُوفَهُ ورَخَائلُهْ[1]

يجسد هذا البيت صورة أحد أعداء خداش حيث استهزأ به وقام بتذكيره بأن كل ما يملكه هو وأهله قطيع من الماعز لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال مالا ذا تأثير أو منفعة .

تعتبر أغراض الشعر المذكورة آنفا من أغزر الأغراض الشعرية لغة حيث يتفنن الشاعر في اختيار أقوى الألفاظ وأعذبها مستعينا بالصور البلاغية التي عرفها العرب مما يجعل القارئ يعيش مع الشاعر تفاصيل حياته اليومية حيث أسهم التنويع والتداول المتجانس للأغراض الشعرية في كسب عاطفة المتلقي، وقد برع خداش في استخدامه لهذه الأغراض حيث يخيل لنا أننا نعايش خداش في يومياته وحروبه حزنا وفرحا، ليلا ونهارا، حربا وسلما وقد أفلح في جعلنا نتقمص شخصيته العظيمة التي اتسمت بالشموخ والكرم والشجاعة والإباء، وأننا نعادي من عاد، ننصر من نصر، نهجو من هجا ونفتخر بمن افتخر ونتبنى بقوة مجموعة الفضائل والشمائل التي دافع عنها خداش في أشعاره .

[1] الديوان، ص 90

خاتمة

وهنا تنتهي رحلتي في دراسة ديوان أحد شجعان وقادة الشعر الجاهلي خداش بن زهير العامري متخذة من أبرز فنونه وأقوى مظاهره الاجتماعية وسيلة لإبراز ما حمله الجاهليون من فنون، حيث خلصت لبعض النتائج دونتها كالتالي :

✓. عني خداش بالعناصر الصوتية عناية ملحوظة فكان تواجد الإيقاع الصوتي أهم وسيلة ساعدته في تشكيل موسيقى خاصة تناغمت مع قصائد ديوانه .

✓تنوعت التراكيب اللغوية في شعر خداش بين جمل اسمية وفعلية وقد غلبت الجمل الفعلية بمختلف أنماطها مما يدل على آن شاعرنا كان كثير الحركة ودؤوب، حيث جسدت تلك الأفعال صورة الحروب التي سادت في تلك الفترة من الزمن .

✓أبدع خداش في تنويع الصور البيانية والمحسنات البديعية في مختلف قصائده مما زاده قوة وساعده في إيصال المعنى لنا والتأثير بنا .

✓شغل شعر الحرب والفخر حيز كبير في ديوان خداش حيث جسد من خلاله الشاعر أيام الفجار ووظف طاقته الإبداعية في حديثه وافتخاره بنفسه وقوة قومه .

✓أظهر خداش قدراته الإبداعية وساهم في إعطاء صورة للإنسان الجاهلي جسدت واقعه اليومي وبيئته الطبيعية .

✓شكلت عناصر التجربة الشعورية لخداش وانفعالاته مع الطبيعة الحية والصامتة نص فني إبداعي صوره من خلال أشعاره .

قائمة المصادر
والمراجع

أولا: المصدر.

1. خداش بن زهير العامري، الديوان، جمع: يحيى الجبوري، شعر مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1982م.

ثانيا: المراجع:

2. إبراهيم محمد منصورة، الشعر والتصوف، دار الأمين ط1، القاهرة.

3. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة .

4. . ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2 1973م .

5. الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تح: الحساني حسن عبد الله مكتبة الخارجي، القاهرة، ط3، 1994م .

6. خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر بغداد، 1983م .

7. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الأعجاز، تحقيق: محمود شاكر ن مكتبة خانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1992م .

8. محمد علي الخولي، علم الدلالة، علم المعنى، دار الفلاح للنشر، عمان، ط1،2001م

9. منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار النينوي للدراسات والنشر والتوزيع سوريا، ط1، 2015م .

10. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010م .

11. يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 1999م .

12.يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، شرح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983م .

ثانيا: القواميس:

13. أبي الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

14. الزمخشري، أساس البلاغة، مادة سلب، دار المعرفة، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
شكر وعرفان	/
مقدمة	أ- د
الفصل الأول: ماهية الأسلوب والأسلوبية والتعريف بآلياتها.	
المبحث الأول : من الأسلوب إلى الأسلوبية .	09
المطلب 1 : الأسلوب لغة .	11
المطلب 2 : الأسلوب اصطلاحا .	12
. قديما .	12
. حديثا .	13
المبحث الثاني : آليات الأسلوبية .	14
المطلب 1 : المستوى الصوتي .	15
المطلب 2 : المستوى التركيبي .	16
المطلب 3 : المستوى الدلالي .	17
الفصل الثاني: تجليات المستويين الصوتي والتركيبي.	
المبحث الأول : تجليات المستوى الصوتي .	21
المطلب 1 . الموسيقى الخارجية .	22
. الوزن .	22
. القافية .	27
المطلب 2 . الموسيقى الداخلية .	29
. الطباق .	29
. التصريع .	31
. الجناس .	32
المبحث الثاني : تجليات المستوى التركيبي .	33
المطلب 1 . الأساليب وأنواع الجمل .	34

. الأساليب (أسلوب خبري . أسلوب انشائي) .	34
. أنواع الجمل (جملة اسمية . جملة فعلية) .	37
المطلب 2 . أسلوب التكرار .	39
. تكرار الحرف .	39
. تكرار الكلمة .	39
. تكرار الجملة .	40
الفصل الثالث: تجليات المستوى الدلالي ودراسة فنية	
المبحث الأول : تجليات المستوى الدلالي .	43
المطلب 1 : الصورة الشعرية .	43
. التشبيه .	44
. الاستعارة (الاستعارة المكنية. الاستعارة التصريحية).	45
. الكناية .	48
المطلب 2 : الحقول الدلالية .	50
. حقل الطبيعة .	50
. حقل الحرب .	52
. حقل الأخلاق .	53
المبحث الثاني: دراسة فنية (الأغراض الشعرية) .	54
مطلب 1 : غرض الوصف .	54
مطلب 2 : غرض الفخر .	56
مطلب 3 : غرض الهجاء .	57
خاتمة	59
قائمة المصادر والمراجع	61
فهرس الموضوعات	64
الملخص	/

ملخص البحث

تبنت الدراسات الأسلوبية النصوص الأدبية القديمة خاصة الشعر واعتبرتها موضوعا لها حيث عملت على استخراج واستنباط أهم الخصائص الفنية والجمالية لهذه النصوص، وذلك بتطبيق ثلاث مستويات شهيرة (المستوى الصوتي، المستوى التركيبي المستوى الدلالي) إذ يعتبر الشعر وسيلة للتعبير عن ما يجول في داخل الإنسان منذ القدم حيث تميز الشعر الجاهلي بكونه وثيقة مهمة أرخ بها الجاهليون حياتهم وجسدوا أيامهم ومبادئهم، وفي هذه الدراسة طبقت المنهج الأسلوبي محاولة استخراج أهم القيم الجمالية التي احتواها شعر فحل من فحول الشعر الجاهلي وهو خداش بن زهير العامري ، الذي شهد له شعره على مواقفه وبطولاته اذ افتخر في شعره بنفسه وقبيلته وهجا أعداءه .

Abstract:

The systematic study .consisted of the ancient texts (poems and prose) especially poetry . the study aimed at extracting the most important features of beauty and admiring .The study is composed mainly of three levels . the phonemic level , the syntactic level and the semantic one . Poetryis considered as a means of expressing feelings .The Arabic ancient (Djahili) poetry is also considered as a historical resource of the old (Djahili) life , struggles , principles and daily life work . In this study , I tried to extract the most worthwhile values in the khaddache Ibn Zoheir L aamiri ' s poems who prided himself and histribe and who also satirized his enemies